الأدب والنصوص.. الفصل الدراسي الثاني

Abdullah Ramadan

[COMPANY NAME] [Company address]

الفهرس

مقدمة 2
الأدب في صدر الإسلام وبني أمية 3
دروس المنتصف الدراسي الأول 3
القسم الأول: الشعر 3
الدرس الأول: كعب بن زهير في مدح الرسول 3
الدرس الثاني: قصيدة أبي سفيان بن الحارث في رثاء الرسول 6
الدرس الثالث: قتيلة بنت النضر ترثي أخاها 9
الدرس الرابع: قصيدة كعب بن مالك: عجيب لأمر الله 12
الدرس الخامس: قصيدة حسان يوم فتح مكة 15
الدرس السادس: قصيدة الحطيئة: وطاوي ثلاث 20
الدرس السابع: قصيدة جرير في مدح عبد الملك بن مروان: أتصحو أم فؤادك غير صاح 25
الدرس الثامن: قصيدة كثير عزة: خليلي هذا ربع عزة فاعقلا 29
دروس المنتصف الدراسي الثاني 32
القسم الثاني: النثر 32
الدرس الأول: الخطابة 32
الدرس الثاني: الوصايا 35
الدرس الثالث: الرسائل 37
القسم الثالث: البلاغة 40
الدرس الرابع: الخبر 41
الدرس الخامس: الإنشاء 58
الدرس السادس: القصر 70
الدرس السابع: الفصل والوصل 83
الدرس الثامن: الإيجاز والإطناب والمساواة 97
المصادر والمراجع 124

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، وأرسل محمدا هاديا للأمم، وبعد،

لأن اللغة تتجلىٰ في إبداعها فقد خصصنا قسمًا للأدب والنصوص، أوردنا فيه عددا من النصوص الأدبية المعبرة عن العصرين الجاهلي وصدر الإسلام؛ ليطلع الطالب علىٰ نماذج راقية من أدب العربية القديم.

والمأمول إن شاء الله أن نكمل باقي العصور الأدبية والنماذج الراقية من الأدب العربي في الفصول الدراسية القادمة.

فالله نسأل التوفيق والسداد وأن يبارك في جهودنا وينفع بها طلابنا.

الأدب في صدر الإسلام وبني أمية

دروس المنتصف الدراسي الأول
القسم الأول: الشعر
الدرس الأول: كعب بن زهير في مدح الرسول

التعريف بالشاعر:

الأعلام للزركلي (5/ 226)

كعب بن زهير

(000 – 26 هـ = 000 – 645 م)

كعب بن زهير بن أبي سلمىٰ المازني، أبو المضرّب: شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، له " ديوان شعر – ط " كان ممن اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلىٰ الله عليه وسلّم وأقام يشبّب بنساء المسلمين، فهدر النبيّ دمه، فجاءه " كعب " مستأمنا، وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: " بانت سعاد فقلبي اليوم متبول " فعفا عنه النبي صلّىٰ الله عليه وآله وخلع عليه بردته. وهو عن أعرق الناس في الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمىٰ، وأخوه بجير، وابنه عقبة وحفيده العوّام، كلهم شعراء. وقد كثر مخمّسو لاميته ومشطّروها ومعارضوها وشرّاحها، وترجمت إلىٰ الإيطالية، وعني بها المستشرق رينيه باسيه (Rene Basset) فنشرها مترجمة إلىٰ الفرنسية، ومشروحة شرحا جيدا، صدّره بترجمة كعب. وللإمام أبي سعيد السكري " شرح ديوان كعب ابن زهير – ط " ولفؤاد البستاني " كعب ابن زهير – ط " (2) .

حول النص:

قالها كعب عندما أسلم، وكان أخوه بجير قد نصحه بالقدوم علىٰ رسول الله والتوبة مما كان منه من شرك وهجاء للإسلام والرسول.

القصيدة:

جميع دواوين الشعر العربي علىٰ مر العصور ـ محتويات موقع أدب (3/ 253)

1 بانتُ سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ متيَّمٌ إثْرَها لم يُجْزَ مَكْبُولُ

2 وما سعادُ غداةَ البينِ إذ رحلوا إلاّ أَغَنُّ غَضَيضُ الطَّرْفِ مكحولُ

3 يَسْعَى الوُشاةُ بجَنْبَيْها وقولُهُم إنك يا بنَ أبي سلمى لمقتولُ

4 وقال كلُّ خليلٍ كنتُ آمُلُه لا ألفينكَ إني عنك مشغولُ

5 فقلتُ خلّوا طريقي لا أبا لكمُ فكلُّ ما قدرَ الرحمنُ مفعولُ

6 كل ابن أنثى وإن طالت سلامتهُ يومًا على آلةٍ حدباءَ محمولُ

7 نُبئتُ أن رَسُولَ اللهِ أَوْعَدِني والعفو عند رسولِ الله مأمولُ

8 مهلاً هداكَ الذي أعطاكَ نافلةَ الـ ـقرآنِ فيها مواعِيظٌ وتفصِيلُ

9 لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أُذْنبْ ولو كثُرت عنّي الأقاويلُ

10 إن الرسول لنور يستضاء به وصارم من سيوف الله مسلول

الدرس الثاني: قصيدة أبي سفيان بن الحارث في رثاء الرسول

التعريف بالشاعر:

»الأعلام للزركلي:(7/ 276) «

20 - 000)»هـ = 000 - 641 م(

المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ابن هاشم، أبو سفيان الهاشمي (القرشي: أحد الأبطال الشعراء في الجاهلية والإسلام. وهو أخو رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلم من الرضاع. كان يألفه في صباهما. ولما أظهر النبي صلّىٰ الله عليه وسلم الدعوة إلىٰ الإسلام عاداه المغيرة وهجاه»

وهجا أصحابه. واستمر علىٰ ذلك إلىٰ أن قوي المسلمون وتداول الناس خبر تحرك النبي صلّىٰ الله عليه وسلم لفتح مكة، فخرج من مكة ونزل بالأبواء - وكانت خيل المسلمين قد بلغتها قاصدة مكة - ثم تنكر وقصد رسول الله، فلما رآه، أعرض عنه النبي صلّىٰ الله عليه وسلم فتحول المغيرة إلىٰ الجهة التي حول إليها بصره، فأعرض، فأدرك المغيرة أنه مقتول لا محالة، فأسلم، ورسول الله معرض عنه. وشهد معه فتح مكة ثم وقعة حنين وأبلىٰ بلاء حسنا، فرضي عنه النبي صلىٰ الله عليه وسلم ثم كان من أخصائه، حتىٰ قال فيه: (أبو سفيان أخي، وخير أهلي، وقد عقبني الله من حمزة أبا سفيان بن الحارث) فكان يقال له بعد ذلك (أسد الله) و (أسد الرسول) . له شعر كثير في الجاهلية هجاء بالإسلام، وشعر كثير بالإسلام هجاء بالمشركين. مات بالمدينة وصلىٰ عليه عمر.

حول النص:

قالها الشاعر يرثي بها الرسول الكريم عقب وفاته صلىٰ الله عليه وسلم.

القصيدة:

قالَ أَبُو سُفْيانَ بنُ الحارِثِ بنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب:

1 أَرِقْتُ فَبِاتَ لَيْلي لَا يَزُولُ وَلَيْلُ أَخي الْمُصيبَةِ فِيه طُولُ

2 وَأَسْعَدَني البُكاءُ وَذاكَ مِمّا أُصِيبَ الْمُسْلِمُون بِه قَلِيلُ

3 لَقَدْ عَظُمَتْ مُصيبَتُنا وَجَلَّتْ عَشِيَّةَ قِيلَ قَد قُبِضَ الرَّسُولُ

4 وَأَضْحَتْ أَرْضُنا مِمّا عَراها تَكادُ بِنا جوانحها تَمِيلُ

ج ج

5 فَقَدْنا الوَحْيَ والتَّنْزِيلَ فِينا يَرُوحُ بِهِ وَيَغْدُو جبْرَئِيلُ

6 وَذاكَ أَحَقُّ مَا سالَتْ عَلَيْه نُفُوسُ النَّاسِ أَوْ كادَتْ تَسِيلُ

7 نَبِيٌّ كانَ يَجْلُو الشَّكَّ عَنَّا بِما يُوحَىٰ إِلَيْهِ وَمَا يَقُولُ

8 وَيَهْدِينا فَلا تَخْشَىٰ ضَلالاً عَلَيْنا والرَّسُولُ لَنا دَلِيلُ

9 أَفاطِمُ إِنْ جَزِعْتِ فَذاكَ عُذْرٌ وإِن لَمْ تَجْزَعي ذاكَ السَّبِيلُ

10 فَقَبْرُ أَبِيكِ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرٍ وَفيهِ سَيَّد النَّاسِ الرَّسُولُ

«الحماسة المغربية» (2/ 786 – 787):

الدرس الثالث: قتيلة بنت النضر ترثي أخاها

التعريف بالشاعر:

قُتَيْلَة بنت النَّضْر

(000 – نحو 20 هـ = 000 – نحو 640 م)

قتيلة بنت (2) النضر بن الحارث بن علقمة، من بني عبد الدار، من قريش: شاعرة، من الطبقة الأولىٰ في النساء. أدركت الجاهلية والإسلام. وأسر أبوها النضر في وقعة بدر، فأمر به النبي صلّىٰ الله عليه وسلم فقتل، فرثته بقصيدة أنشدتها بين يدي رسول الله، تقول فيها:

" ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق "

فنهىٰ رسول الله عن قتل أسرىٰ قريش بعد النضر. وأسلمت بعد مقتله، وروت الحديث. وتوفيت في خلافة عمر. وقصيدتها مما اختاره ابو تمام

حول النص:

قالت هذه القصيدة عندما قتل أبوها، وكان قد مات علىٰ الشرك.

القصيدة:

1 يا راكبًا إنَّ الأُثَيلَ مَظِنَّة من صُبح غادية وأنتَ مُوفَّقُ

2 أبلغْ بها مَيتًا بأن تحِيَّة ما إن تزالُ بها النجائب تعنق

3 منِّي إليه وعَبرةً مسفوحةً جادتْ بواكفها وأُخرىٰ تخنُقُ

4 هل يسمعنَّي النَّضرُ إنْ نادَيتَهُ إن كان يسمعُ مَيِّتٌ لا ينطقُ

ج ج

5 ظلَّتْ سيوفُ بني أبيه تَنوشُهُ للهِ أرحامٌ هناك تُشقَّقُ

6 قسراً يقاد إلىٰ المنيَّة مُتعبـًا رسف المقيَّدِ وهْو عانٍ مُوثقُ

7 أمحمَّدٌ ها أنتَ صِنْوُ كريمة في قومها والفحلُ فحلٌ مُعرِقُ

8 ما كانَ ضرَّك لو مَنَنْتَ وربَّما منَّ الفتَىٰ وهو المَغيظُ المُحنَقُ

9 فالنضر أقرب من قتلت قرابة وأحقّهم إن كان عتق يعتق

10 أو كنت قابل فدية فليفدين بأعزّ ما يغلىٰ به من ينفق

فلمَّا اتَّصل شِعرها بالنَّبيّ صلىٰ الله عليه وسلّم قال: لو كانَ اتَّصل بي قبلُ لمننتُ عليه.

زهر الآداب وثمر الألباب(66 /1)

[[3] الأثيل- مصغرا-: عين ماء بين بدر ووادي الصفراء. ومظنة: موضع إيقاع الظن.

[4] في المطبوعة: «به» . والمثبت عن المصورة، والسيرة، والبيان. والتأنيث لأنها عين ماء.

[5] في المطبوعة: «فإن» . والمثبت عن المصورة، والسيرة.

[6] تعنق: تسرع. وفي المراجع المتقدمة: «تخفق» . وهو بمعناه.

[7] في المطبوعة: «لما تحتها» . والمثبت عن المصورة. والماتح: المستسقىٰ. والكلام استعارة.

وفي كتاب نسب قريش:

«لمائحها» . وهو بمعناه.

[8] في المطبوعة والمصورة: «معتبا» ، بتقديم العين. ولا يستقيم المعنىٰ عليه. والمثبت عن المراجع المتقدمة.

[9] الرسف: المشي الثقيل. والعاني: الأسير.]

الدرس الرابع: قصيدة كعب بن مالك: عجيب لأمر الله

التعريف بالشاعر:

«الأعلام للزركلي» (5/ 228):

«كَعْب بن مالِك

(000 – 50 هـ = 000 – 670 م)

كعب بن مالك بن عمرو بن القين، الأنصاري السلمي (بفتح السين واللام) الخزرجي: صحابي، من أكابر الشعراء. من أهل المدينة. اشتهر في الجاهلية، وكان في الإسلام من شعراء النبي صلىٰ الله عليه وآله وشهد أكثر الوقائع. ثم كان من أصحاب عثمان، وأنجده يوم الثورة، وحرّض الأنصار علىٰ نصرته. ولما قتل عثمان قعد عن نصرة علي فلم يشهد حروبه، وعمي في آخر عمره وعاش سبعا وسبعين سنة. قال روح بن زنباع: أشجع بيت وصف به رجل قومه، قول كعب بن مالك:

" نصل السيوف إذا قصرن بخطونا ... يوما ونُلحقها إذا لم تلحق "»

له 80 حديثا، و " ديوان شعر – ط " جمعه سامي العاني في بغداد (1) .

حول النص:

قالها في غزوة بدر

القصيدة:

«سيرة ابن هشام ت طه عبد الرؤوف سعد» (2/ 264):

1 عَجِبْتُ لأمرِ اللهِ وَاَللهُ قَادِرٌ عَلَىٰ مَا أَرَادَ، لَيْسَ للهِ قاهرُ

2 قضَىٰ يومَ بَدْرٍ أَنْ نلاقِيَ مَعشرًا بغَوْا وسبيلُ الْبَغْي بالناسِ جائرُ

3 وَقَدْ حَشدوا وَاسْتَنْفَرُوا مِنْ يَلِيهِمْ مِنْ الناسِ حَتَّىٰ جَمعهم مُتكاثرُ

4 وَسَارَتْ إِلَيْنَا لَا تحاولُ غيرَنا بأجمعِها كعبٌ جَمِيعًا وعامرُ

ج ج

5 وَفِينَا رسولُ اللهِ والأوسُ حولَه لَهُ مَعْقِل مِنْهُمْ عَزِيزٌ وناصرُ

6 وجَمْعُ بَنِي النجارِ تحت لوائهِ يُمَشَّوْن فِي الماذِيِّ والنقعُ ثَائِرُ

7 فَلَمَّا لقِيناهم وَكُلٌّ مجاهدٌ لأصحابِهِ مُستَبسلُ النفسِ صابرُ

8 شَهِدنا بِأَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غيرَه وَأَنَّ رسولَ اللهِ بالحقِّ ظاهرُ

9 وَقَدْ عُرِّيَتْ بيضٌ خِفاف كَأَنَّهَا مقاييسُ يُزْهِيها لعَيْنيك شاهرُ

10 بِهِنَّ أَبَدْنَا جمعَهم فتبدَّدوا وَكَانَ يُلاقي الحَيْن مَنْ هُوَ فاجرُ

معاني الكلمات والشرح:

1 تعصب: تجتمع.

2 مائر: سائل.

3 الماذي: الدرع اللينة السهلة.

4 يزهيها: يحركها.»

الدرس الخامس: قصيدة حسان يوم فتح مكة

التعريف بالشاعر:

»الأعلام للزركلي:(2/ 175) «

(000 - 54)»هـ = 000 - 674 م(

حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد: الصحابي، شاعر النبي صلىٰ الله عليه وسلم وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام. وكان من سكان المدينة. واشتهرت مدائحه في الغسانيين، وملوك الحيرة، قبل الإسلام، وعمي قبيل وفاته. لم يشهد مع النبي صلّىٰ الله عليه وسلم مشهدا، لعلة أصابته. وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه. وكان يضرب بلسانه روثة أنفه من طوله، قال أبو عبيدة:»

فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبيّ في النبوّة، وشاعر اليمانيين في الإسلام. وكان شديد الهجاء، فحل الشعر. قال المبرد (في الكامل) : أعرق قوم كانوا في الشعراء آل حسان، فإنّهم يعدون ستة في نسق، كلهم شاعر، وهم: سعيد بن عبد الرَّحمن بن حسَّان بن ثابت بن المنذر ابن حَرام. توفي في المدينة. وفي (ديوان شعره – ط) ما بقي محفوظا منه. وقد انقرض عقب حسان. ومما كتب في سيرته وشعره (أخبار حسان) للزبير بن بكار، و (حسان بن ثابت – ط) لحنا نمر، ومثله لخلدون الكناني، ومثله لفؤاد البستاني (1) .

حول النص:

قالها حسان يوم فتح مكة

القصيدة:

«سيرة ابن هشام ت السقا» (2/ 421):

«(شِعْرُ حَسَّانَ فِي فَتْحِ مَكَّةَ) :

وَكَانَ مِمَّا قِيلَ مِنْ الشِّعْرِ فِي يَوْمِ الْفَتْحِ قَوْلُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ [5] :

1 عَفَتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجِوَاءُ إِلَىٰ عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلَاءُ

2 دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ قَفْرٌ تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ

3 وَكَانَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنِيسٌ خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ

4 فَدَعْ هَذَا، وَلَكِنْ مَنْ لِطَيْفٍ يُؤَرِّقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ

ج ج

5 عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

6 يُنَازِعْنَ الْأَعِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ عَلَىٰ أَكْتَافِهَا الْأَسَلُ الظِّمَاءُ

7 تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ يُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ

8 فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ

9 وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِجِلَادِ يَوْمٍ يُعِينُ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

10 وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللهِ فِينَا وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ

11 وَقَالَ اللهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقَّ إِنْ نَفَعَ الْبَلَاءُ

12 شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا [6] صَدِّقُوهُ فَقُلْتُمْ لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ

13 وَقَالَ اللهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا هُمْ الْأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ

14 لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ

15 فَنُحْكِمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ

معاني الكلمات والشرح:

المصدر: «سيرة ابن هشام ت السقا» (2/ 421):

[1] عفت: تَغَيَّرت ودرست. ذَات الْأَصَابِع والجواء: موضعان بِالشَّام، وبالجواء كَانَ منزل الْحَارِث ابْن أَبى شمر الغساني، وَكَانَ حسان كثيرا مَا يفد علىٰ مُلُوك غَسَّان بِالشَّام يمدحهم، فَلذَلِك يذكر هَذِه الْمنَازل. وعذراء: قَرْيَة علىٰ بريد من دمشق»

[2] بَنو الحسحاس: حَيّ من بنىٰ أَسد. وأصل الحسحاس الرجل الْجواد، وَلَعَلَّه مُرَاد هُنَا.

والروامس:

الرِّيَاح الَّتِي ترمس الْآثَار أَي تغطيها. وَالسَّمَاء: الْمَطَر. (عَن السهيليّ) .

[3] النعم: المَال الرَّاعِي، وَهُوَ جمع لَا وَاحِد لَهُ من لَفظه، وَأَكْثر مَا يَقع علىٰ الْإِبِل. وَالشَّاة من الْغنم، يَقع علىٰ الذّكر وَالْأُنْثَىٰ، وَالْجمع شَاءَ وشياه.

[4] الطيف: خيال المحبوبة يلم فِي النّوم. ويؤرقنىٰ: يسهرني. يُرِيد أَن الطيف إِذا زَالَ عَنهُ وجد لَهُ لوعة تؤرقه.

[5] النَّقْع: الْغُبَار. وكداء (بِوَزْن سَحَاب) : ثنية بِأَعْلَىٰ مَكَّة (رَاجع الْحَاشِيَة الأولىٰ ص 406) .

[6] الأعنة: جمع عنان، وَهُوَ اللجام. والمصغيات: الموائل المنحرفات لِلطَّعْنِ. والأسل. الرماح.

والظماء: العطاش. ويروىٰ: (يبارين الأسنة) بدل: (ينازعن الأعنة) . و (مصعدات) بدل مصغيات

[7] المتمطرات: قيل مَعْنَاهُ المصوبات بالمطر. وَيُقَال: المتمطرات: الَّتِي يسْبق بَعْضهَا بَعْضًا. ويلطمهن:

تضرب النِّسَاء وجوههن لتردهن. وَالْخمر: جمع خمار، وَهُوَ مَا تغطىٰ بِهِ الْمَرْأَة رَأسهَا ووجهها، أَي أَن النِّسَاء كن يضربن وُجُوه الْخَيل بِخُمُرِهِنَّ يَوْم الْفَتْح. قَالَ السهيليّ: وَقَالَ ابْن دُرَيْد فِي الجمهرة:

كَانَ الْخَلِيل رَحمَه الله يرْوىٰ بَيت حسان: (يطلمهن بِالْخمرِ) وينكر: (يلطمهن) ويجعله بِمَعْنىٰ ينفض النِّسَاء بِخُمُرِهِنَّ مَا عليهنّ من غُبَار أَو نَحْو ذَلِك.

[8] اعتمرنا: أدينا مَنَاسِك الْعمرَة، وَهِي زِيَارَة بَيت الله الْحَرَام.

[9] الجلاد: الْقِتَال بِالسُّيُوفِ. ويروىٰ: (يعز الله) بدل (يعين الله) .

[10] كفاء: مثل.

[11] الْبلَاء: الاختبار.

[12] رِوَايَة الدِّيوَان: (وقومي) .

[13] عرضتها اللِّقَاء: عَادَتهَا أَن تتعرض للقاء، فَهِيَ قَوِيَّة عَلَيْهِ.

[15] نحكمه: نمنعه ونكفه، وَمِنْه سمىٰ القَاضِي حَاكما، لِأَنَّهُ يمْنَع النَّاس من الظُّلم.

الدرس السادس: قصيدة الحطيئة: وطاوي ثلاث

التعريف بالشاعر:

»الأعلام للزركلي:(2/ 118) «

»الحُطَيْئَة

(000 - نحو 45 هـ = 000 - نحو 665 م)

جرول بن أوس بن مالك العبسيّ، أبو ملكية: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. كان هجاءاً عنيفا، لم يكد يسلم من لسان أحد. وهجا أمه وأباه ونفسه. وأكثر من هجاء الزبرقان ابن بدر، فشكاه إلىٰ عمر بن الخطاب، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس، فقال: إذا تموت عيالي جوعا!. له (ديوان شعر - ط) ومما كتب عنه (الحطيئة - ط) رسالة لجميل سلطان (2) .«

حول النص:

»تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف:(2/ 99) «

«وفيها يصور أعرابيّا فقيرا نزل به ضيف، وعياله من حوله يتضوّرون جوعا، فهمّ أن يذبح له أحدهم، لولا أن عنّت له أتان وحشية، فصادها وأطعمها ضيفه. والقصيدة رائعة فى وصف غريزة الكرم العربية»

القصيدة:

1 **وطاوي ثلاث، عاصب البطن، مرمل ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما487**

2 **أخي جفوة، فيه من الأنس وحشة يرىٰ البؤس فيها من شراسته نعمىٰ 488**

3 وأفرد في شعب عجوزًا إزاءها ثلاثة أشباح تخالهم بهمًا 489

4 حفاة، عراة، ما اغتذوا خبز ملة ولا عرفوا للبر، مذ خلقوا، طعمًا490

ج ج

5 رأىٰ شبحًا، وسط الظلام، فراعه فلما بدا ضيفا، تهيأ واهتما491

6 فقال ابنه، لما رآه بحيرة أيا أبت اذبحني! ويسر له طعما

7 ولا تعتذر بالعدم، علَّ الذي ترىٰ يظن لنا مالا، فيوسعنا ذما492

8 فروىٰ قليلًا، ثم أحجم برهة وإن هو لم يذبح فتاه، فقد هما493

9 وقال: هيا رباه، ضيف ولا قرىٰ! بحقك، لا تحرمه تا الليلة اللحما494

10 فبينا هما، عنت علىٰ البعد عانة قد انتظمت من خلف مسحلها نظما495

11 عطاشًا تريد الماء، فانساب نحوها علىٰ أنه منها إلىٰ دمها أظما496

12 فأمهلها حتىٰ تروت عطاشها فأرسل فيها من كنانته سهما497

13 فخرت نحوص، ذات جحش، سمينة قد اكتنزت لحمًا، وقد طبقت شحما498

14 فيا بشره إذ جرها نحو أهله ويا بشرهم لما رأوا كلمها يدمىٰ499

15 فباتوا كرامًا قد قضوا حق ضيفهم ولم يغرموا غرما، وقد غنموا غنما500

16 وبات أبوهم من بشاشته أبًا لضيفهم، والأم من بشرها أما501

معاني الكلمات والشرح:

«في تاريخ الأدب الجاهلي» (ص425):

1- الطاوي: الجائع. ثلاث: أي ثلاث ليال. عاصب البطن: الذي يتعصب بالخرق، ويشدها علىٰ بطنه من الجوع. مرمل: محتاج. بيداء: صحراء. الرسم: ما بقىٰ بالأرض من آثار الدار، أي هو في مفازة لم ينزل بها أحد.

2- الجفوة: غلظ الطبع. والأنس. ألفة البيوت وهو ضد الوحشة: أي النفور. البؤس: الشدة فيها. الضمير للبيداء والمعنىٰ: هو رجل عنيف الطباع. محب للعزلة، لا يألف الناس، يرىٰ الوحدة في هذه الصحراء نعيمًا وسعادة، لشدة نفوره من الخلق.

3- الشعب: الطريق في الجبل. البهم: جمع بهمة. ولد الضأن والماعز؛ شبههم بها لهزالهم. والمعنى: وسكن مع زوجته وأولاده الذين يشبهون الأشباح.

4- الملة: الرماد الحار. البر: القمح.

هؤلاء الأولاد حفاة الأقدام، عراة الأجسام، لم يأكلوا القمح طول حياتهم.

5- راعه: أفزعه. رأى شبحًا في الظلام مقبلًا عليه، فخاف، إذ يجوز أن يكون عدوًّا فاتكًا يقصده بسوء، فلما وجده ضيفًا، استعد للقائه وإكرامه.

7- العدم: الفقر يقصد أن يقول: لا تعتذر له بالفقر، فلعله يظن أننا أغنياء ونبخل عليه بالطعام، فيذمنا بين الناس.

8- روى: سكت مفكرًا. أحجم: امتنع. برهة: لحظة. هم: حاول أن يفعل.

9- هيا: حرف نداء. القرى: طعام الضيف، تا الليلة: هذه الليلة. دعا الرجل ربه أن يرزقه ما يكرم به ضيفه.

10- عنت: عرضت. العانة: إناث الحمر الوحشية. المسحل: الحمار الوحشي. انتظامها من خلفه: انضمامها إليه، وقربها منه.

وبينما هو في حيرة مع ولده، إذا أقبل عليهما قطيع من حمر الوحش، يسير صفًّا منتظمًا وراء قائده»

«في تاريخ الأدب الجاهلي» (ص426):

وهذه الأبيات تصور ما كان يعانيه الجاهليون سكان الصحراء من فقر وبؤس وجوع، وما كانوا يتمسكون به -مع هذا- من التفاني الشديد في إكرام الضيف مهما كانت حالتهم، ففي القيام بهذا الواجب سعادة كبيرة وسرور عظيم.

ولهذا كانوا يلبون نداء المكروب، ويحسنون استقبال النازلين، وبخاصة من كان في حاجة إلىٰ رعاية وعناية، كمن يضل في الصحراء، أو تسوء ظروفه وأحواله.

11- انساب: سار إليها بهدوء علىٰ أطراف أصابعه، من غير أن يحدث صوتًا. أظما: أشد ظمأ، وكان القطيع يسير إلىٰ الماء، ليرتوي، فسار الرجل إليه، وهو أشد ظمأ إلىٰ دمائه، متلهفًا علىٰ اقتناص شيء منه.

12- تروت: ارتوت. الكنانة: جعبة السهام التي توضع فيها. انتظر الرجل حتىٰ شربت الحمر، ثم أطلق من كنانته علىٰ واحد منها سهمًا.

13- خرت: سقطت. النحوص: الأتان الوحشية. اكتنزت: امتلأت. طبقت شحمًا: أي امتلأت بالشحم.

14- فيا بشره: فما أعظم سروره. كلمها: جرحها. يدمىٰ: يسيل دمه.

15- وباتوا سعداء بما قاموا به من واجب الضيافة، وما خسروا في ذلك شيئًا. وإنما كسبوا ثناء الضيف العاطر.

16- وقد شعر الضيف بأنه بين أبويه يمنحانه العطف. ويغدقان عليه حسن المعاملة ويبشان له، ويهشان في وجهه.

الدرس السابع: قصيدة جرير في مدح عبد الملك بن مروان: أتصحو أم فؤادك غير صاح

التعريف بالشاعر:

الأعلام للزركلي(2/ 119)

(28 - 110هـ = 640 - 728 م)

جرير بن عطية بن حذيفة الخَطَفي بن بدر الكلبيّ اليربوعي، من تميم:

أشعر أهل عصره. ولد ومات في اليمامة. وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم - وكان هجاءاً مرّا - فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل.

وكان عفيفا، وهو من أغزل الناس شعرا. وقد جمعت (نقائضه مع الفرزدق - ط) في ثلاثة أجزاء، و (ديوان شعره - ط) في جزأين. وأخباره مع الشعراء وغيرهم كثيرة جدا.

وكان يكنىٰ ب أبي حَزْرَة. ولجميل سلطان (جرير، قصة حياته ودراسة أشعاره - ط) (1) .

حول النص:

قالها جرير في مدح عبد الملك بن مروان

القصيدة:

(ديوان جرير)

1 أَتَصحو بَل فُؤادُكَ غَيرُ صاحِ عَشِيَّةَ هَمَّ صَحبُكَ بِالرَواحِ

2 يَقولُ العاذِلاتُ عَلاكَ شَيبٌ أَهَذا الشَيبُ يَمنَعُني مِراحي

3 أَغِثني يا فَداكَ أَبي وَأُمّي بِسَيبٍ مِنكَ إِنَّكَ ذو اِرتِياحِ

4 فَإِنّي قَد رَأَيتُ عَلَيَّ حَقّاً زِيارَتِيَ الخَليفَةَ وَاِمتِداحي

ج ج

5 سَأَشكُرُ أَن رَدَدتَ عَلَيَّ ريشي وَأَثبَتَّ القَوادِمَ في جَناحي

6 أَلَستُم خَيرَ مَن رَكِبَ المَطايا وَأَندىٰ العالَمينَ بُطونَ راحِ

7 أَبَحتَ حِمىٰ تِهامَةَ بَعدَ نَجدٍ وَما شَيءٌ حَمَيتَ بِمُستَباحِ

8 لَكُم شُمُّ الجِبالِ مِنَ الرَواسي وَأَعظَمُ سَيلَ مُعتَلِجِ البِطاحِ

9 رَأىٰ الناسُ البَصيرَةَ فَاستَقاموا وَبَيَّنَتِ المِراضُ مِنَ الصِحاحِ

معاني الكلمات والشرح:

1- الرَّوَاحُ: اسمٌ للوقْتِ من زوال الشمس إلىٰ الليل ويقابله الصَّباح

2- عاذِل: (اسم) وهو شديد اللوم والعتاب، والجمع: عاذلون وعُذَّل وعَذَلة، المؤنث: عاذلة، والجمع للمؤنث: عاذلات وعواذِلُ، وهو اسم فاعل من عذَلَ.

المراح

(الْمَرَحُ) شِدَّةُ الْفَرَحِ وَالنَّشَاطِ وَبَابُهُ طَرِبَ، فَهُوَ (مَرِحٌ) بِكَسْرِ الرَّاءِ وَ (مِرِّيحٌ) بِوَزْنِ سِكِّيتٍ، وَ (أَمْرَحَهُ) غَيْرُهُ، وَالِاسْمُ (الْمِرَاحُ) بِالْكَسْرِ

3- السَّيْبُ: كلُّ ما سُيِّبَ وخُلِّي فساب (تسمية بالمصدر)، السَّيْبُ: العطاءُ، السَّيْبُ: المعروفُ ونحوُه.

4-

5- (قَوَادِمُ) الطَّيْرِ (مَقَادِيمُ) رِيشِهِ وَهِيَ عَشْرٌ فِي كُلِّ جَنَاحٍ الْوَاحِدَةُ (قَادِمَةٌ) وَهِيَ (الْقُدَامَىٰ) أَيْضًا.

6- المَطِيَّة من الدَّوابّ: ما يُرْكب ويمتطىٰ كالبعير والنَّاقة (للمذكَّر والمؤنَّث)

أندىٰ: (النَّدَىٰ) الْجُودُ، وَرَجُلٌ (نَدٍ) أَيْ جَوَادٌ وَفُلَانٌ (أَنْدَىٰ) مِنْ فُلَانٍ أَيْ أَكْثَرُ خَيْرًا مِنْهُ وَهُوَ (يَتَنَدَّىٰ) عَلَىٰ أَصْحَابِهِ أَيْ يَتَسَخَّىٰ.

7- تهامة (تِهَامَةُ) بَلَدٌ وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِ (تِهَامِيٌّ) وَ (تَهَامٍ) أَيْضًا.

(نَجْدٌ) مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ وَهُوَ خِلَافُ الْغَوْرِ، فَالْغَوْرُ تِهَامَةُ وَكُلُّ مَا ارْتَفَعَ عَنْ تِهَامَةَ إِلَىٰ أَرْضِ الْعِرَاقِ فَهُوَ نَجْدٌ، وَهُوَ مُذَكَّرٌ.

(حَمَاهُ) يَحْمِيهِ (حِمَايَةً) دَفَعَ عَنْهُ وَهَذَا شَيْءٌ (حِمًى) أَيْ مَحْظُورٌ لَا يُقْرَبُ وَ (أَحْمَيْتُ) الْمَكَانَ جَعَلْتُهُ حِمًىٰ.

8- (الرَّوَاسِي) مِنَ الْجِبَالِ الثَّوَابِتُ الرَّوَاسِخُ وَاحِدَتُهَا (رَاسِيَةٌ)

(الْأَبْطَحُ) مَسِيلٌ وَاسِعٌ فِيهِ دِقَاقُ الْحَصَىٰ وَالْجَمْعُ (الْأَبَاطِحُ) وَ (الْبِطَاحُ) بِالْكَسْرِ

اعْتَلَجَت الأرضُ: طال نباتها والتف وكثر. اعْتَلَجَ الموجُ: التطم. اعتلج الهَمُّ بصدره/ اعتلج الهمُّ في صدره اضطرب، التطم، شغله وتجاذبه اعتلج بصدره الضِّيقُ، اعْتَلَجَ الرملُ: اجتمع.

الدرس الثامن: قصيدة كثير عزة: خليلي هذا ربع عزة فاعقلا

التعريف بالشاعر:

«الأعلام للزركلي» (5/ 219):

«كُثَيِّر عَزَّة

(000 – 105 هـ = 000 – 723 م)

كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، أبو صخر: شاعر، متيم مشهور. من أهل المدينة. أكثر إقامته بمصر. وفد علىٰ عبد الملك بن مروان، فازدري منظره، ولما عرف أدبه رفع مجلسه، فاختص به وبيني مروان، يعظمونه ويكرمونه. وكان مفرط القصر دميما، في نفسه شمم وترفع. يقال له " ابن أبي جمعة " و " كثير عزة " و " الملحي " نسبة إلىٰ بني مليح، وهم قبيلته، قال المرزباني: كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام، لا يقدمون عليه أحدا. وفي المؤرخين من يذكر أنه من غلاة الشيعة، وينسبون إليه القول بالتناسخ، قيل: كان يرىٰ أنه " يونس ابن متىٰ " أخباره مع عزة بنت حميل الضمرية كثيرة. وكان عفيفا في حبه قيل له: هل نلت من عزة شيئا طول مدتك؟ فقال: لا والله، إنما كنت إذا اشتد بي الأمر أخذت يدها فإذا وضعتها علىٰ جبيني وجدت لذلك راحة. توفي بالمدينة. له " ديوان شعر – ط " وللزبير ابن بكار " أخبار كثير " (2) .»

حول النص:

قاله الشاعر عند تذكره لمحبوبته التي رحلت وتركته.

القصيدة:

1 **خليليَّ هذا ربع عزّة فاعقلا قلوصيكما ثمّ ابكيا حيث حلّت**

2 وما كنت أدرىٰ قبل عزّة ما البكا ولا موجعات الحزن حتّىٰ تولّت

3 وكانت لقطع الحبل بيني وبينها كناذرة نذرا وفت فأحلّت

4 فقلت لها: يا عزّ كلّ مصيبة إذا وطّنت يوما لها النّفس ذلّت

ج ج

5 ولم يلق إنسان من الحبّ ميعة تعمّ، ولا عمياء إلّا تجلّت

6 أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا، ولا مقليّة إن تقلّت

7 ووالله ما قاربت إلّا تباعدت بصرم، ولا استكثرت إلّا أقلّت

8 ووالله ثمّ الله ما حلّ قبلها ولا بعدها من خلّة حيث حلّت

9 وإنّي وتهيامي بعزّة بعد ما تخلّيت ممّا بيننا وتخلّت

10 لكالمرتجي ظلّ الغمامة كلّما تبوأ منها للمقيل اضمحلّت

معاني الكلمات والشرح:

5- الميعة: سيلان الشيء المصبوب، وميعة الشباب والسكر والنهار وجرىٰ الفرس: أوله وأنشطه

6- [7] ل «وأحسني «ويختل به الوزن، وصحح من المصادر الأخر. مقلية: من القلىٰ، بكسر القاف، وهو البغض، تقلت: تبغضت. والبيت في اللسان 20: 60 وفىٰ الخزانة 2: 381 عن أبىٰ الحسن بن طباطبا في كتاب عيار الشعر أن العلماء قالوا: «لو جعل قوله أسيئىٰ بنا أو أحسنىٰ البيت في وصف الدنيا كان أشعر الناس» .

7- [8]في المصادر الأخر «ولا أكثرت» . الخلة، بضم الخاء: الصداقة، والخلة أيضا: الصديق، الذكر والأنثىٰ والواحد والجميع في ذلك سواء، لأنه في الأصل مصدر

دروس المنتصف الدراسي الثاني
القسم الثاني: النثر

الدرس الأول: الخطابة

من خطبة الرسول في حجة الوداع:

«[خُطْبَةُ الرّسُولِ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ]

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: ثُمّ مَضَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَىٰ حَجّهِ، فَأَرَىٰ النّاسَ مَنَاسِكَهُمْ، وَأَعْلَمَهُمْ سُنَنَ حَجّهِمْ، وَخَطَبَ النّاسَ خُطْبَتَهُ الّتِي بَيّنَ فِيهَا مَا بَيّنَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ،

ثُمّ قَالَ:

أَيّهَا النّاسُ، اسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنّي لَا أَدْرِي لَعَلّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا، أَيّهَا النّاسُ، إنّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إلَىٰ أَنْ تَلْقَوْا رَبّكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، وَإِنّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، وَقَدْ بَلّغْت، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدّهَا إلَىٰ مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا، وَإِنّ كُلّ رِبًا موضوع، ولكن لكم رؤوس أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ.

قَضَىٰ اللهُ أنه لا ربا، وَإِنّ رِبَا عَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلّهُ، وَأَنّ كُلّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيّةِ موضوع، وإن أوّل دمائكم أضع دم ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، وَكَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ، فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ فَهُوَ أَوّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيّةِ.

أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ، فَإِنّ الشّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا، وَلَكِنّهُ إنْ يُطَعْ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ مِمّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْذَرُوهُ عَلَىٰ دِينِكُمْ، أَيّهَا النّاسُ: إنّ النّسِيءَ زيادة

في الكفر، يضل به الذين كفروا، يُحِلّونَهُ عَامًا وَيُحَرّمُونَهُ عَامًا، لِيُوَاطِئُوا عِدّةَ مَا حَرّمَ اللهُ، فَيَحِلّوا مَا حَرّمَ اللهُ، وَيُحَرّمُوا مَا أَحَلّ اللهُ.

وَإِنّ الزّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَإِنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الّذِي بَيْنَ جُمَادَىٰ وَشَعْبَانَ. أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ، فَإِنّ لَكُمْ عَلَىٰ نِسَائِكُمْ حَقّا، وَلَهُنّ عَلَيْكُمْ حَقّا، لَكُمْ عَلَيْهِنّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، وَعَلَيْهِنّ أَنْ لَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرّحٍ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ فَلَهُنّ رِزْقُهُنّ وَكُسْوَتُهُنّ بِالْمَعْرُوفِ، وَاسْتَوْصُوا بِالنّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنّهُنّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنّ شَيْئًا، وَإِنّكُمْ إِنّمَا أَخَذْتُمُوهُنّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنّ بِكَلِمَاتِ اللهِ، فَاعْقِلُوا أَيّهَا النّاسُ قَوْلِي، فَإِنّي قَدْ بَلّغْت، وقد تركت فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلّوا أَبَدًا، أَمْرًا بَيّنًا، كِتَابَ اللهِ وَسُنّةَ نَبِيّهِ.

أَيّهَا النّاسُ، اسْمَعُوا قَوْلِي وَاعْقِلُوهُ، تَعَلّمُنّ أَنّ كُلّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ، وَأَنّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ، فلا يحل لامرئ مِنْ أَخِيهِ إِلّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ؛ فَلَا تَظْلِمُنّ أَنْفُسَكُمْ، اللهُمّ هَلْ بَلّغْت؟

فَذُكِرَ لِي أَنّ النّاسَ قَالُوا: اللهُمّ نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:

اللهم اشهد.

«الروض الأنف ت الوكيل» (7/ 460-461)

[معنىٰ النسيء: **أنهم كانوا يبدلون بعض الأشهر الحرم بغيرها من الأشهر ، فيحرمونها بدلها ، ويحلون ما أرادوا تحليله من الأشهر الحرم إذا احتاجوا إلى ذلك ، ولكن لا يزيدون في عدد الأشهر الهلالية شيئا ، فكانوا يحلون المحرم ، فيستحلون القتال فيه؛ لطول مدة**

التحريم عليهم بتوالي ثلاثة أشهر محرمة (وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم) ، ثم يحرمون صفر مكانه ، فكأنهم يقترضونه ثم يوفونه.]

خطبة أبي بكر عند وفاة الرسول صلىٰ الله عليه وسلم[1]:

"أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وأشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع، وأن الحديث كما حدث، وأن القول كما قال، وأن الله هو الحق المبين.. في كلام طويل، ثم قال: أيها الناس، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وإن الله قد تقدم إليكم في أمره؛ فلا تدعوه جزعًا، وإن الله قد اختار لنبيه ما عنده علىٰ ما عندكم، وقبضه إلىٰ ثوابه، وخلف فيكم كتابه، وسنة نبيه؛ فمن أخذ بهما عرف، ومن فرق بينهما أنكر.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} [النساء: ١٣٥] ، ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم، ولا يفتننكم عن دينكم؛ فعاجلوه بالذي تعجزونه، ولا تستنظروه فيلحق بكم".

خطبة الحجاج بن يوسف عندما ولي العراق:

(1) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (١/ ١٨٥)

وصية خالد بن سعيد بن العاص إلىٰ أبي بكر الصديق رضي الله عنه[2]:

لما أراد خالد بن سعيد بن العاص أن يغدو سائرًا إلىٰ الشام، لبس سلاحه، وأمر إخوته فلبسوا أسلحتهم، عمرًا والحكمَ وأَبَانَ، وغِلمَتَهُ ومواليه، ثم أقبل إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه بعد صلاة الغداة وصلىٰ معه؛ فلما انصرفوا قام إليه هو وإخوته، فجلسوا إليه فحمد الله خالدٌ وأثنىٰ عليه وصلىٰ علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ثم قال:

"يا أبا بكر، إن الله أكرمنا وإياك والمسلمين طرًّا بهذا الدين، فأحقُّ من أقام السنة، وأمات البدعة، وعَدَلَ في السيرةِ، الوالي علىٰ الرعيةِ، وكلُّ امرئٍ من أهل هذا الدين محقوقٌ بالإحسانِ، ومَعْدَلَةُ الوالي أعمُّ نفعًا، فاتَّقِ الله يا أبا بكرٍ فيمن ولَّاكَ الله أمرَهُ، وارحمِ الأرملةَ واليتيمَ، وأَعِنِ الضعيفَ المظلومَ، ولا يكن رجلٌ من المسلمين إذا رضيت عنه آثرَ عندك في الحقِّ منه إذا سخِطْتَ عليه، ولا تغضبْ ما قدرت علىٰ ذلك؛ فإنَّ الغضبَ يجرُّ الجور. ولا تحقد علىٰ مسلمٍ وأنت تستطيعُ، فإنَّ حقدك علىٰ المسلم يجعلك له عدوًّا، وإنِ اطلع علىٰ ذلك منك عاداكَ؛ فإذا عادىٰ الوالي الرعيةَ، وعادتِ الرعيةُ الوالي، كان ذلك قَمِنًا[3] أن يكون إلىٰ هلاكهم داعيًا، وكن ليِّنًا للمُحسنِ، واشدد علىٰ المريبِ، ولا تأْخُذْكَ في اللهِ لومةُ لائم".

وصية الرسول لأبي ذر:

(2) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (١/ 194)

(3) قَمِنَ: (فعل). قمِنَ بـ يَقمَن قَمَانةً ، قَمَنًا ، فهو قَمِن وقَمِين ، والمفعول مقمون به. قَمِنَ بكذا : جَدُر به وخَلُق

«عن أَبي ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنَادَةَ (رضي الله عنه) قال: قلت: يارسولَ اللهِ! أوصني، فقال: ((اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)).

أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (ج٥ص١٥٣،ص١٥٨،ص١٧٧)، والترمذي في "جامعه" (كتاب البر والصلة- باب ما جاء في معاشرة الناس- حديث رقم١٩٨٧) وقال: "حديث حسن صحيح"».

"المنتخب من وصايا الآباء للأبناء"

وصية عمرَ بنِ الخطاب لابنه:

كتب عمرُ بنُ الخطابِ أميرُ المؤمنين، وثاني الخلفاء الراشدين، وأحدُ العشرةِ المُبَشَّرين إلىٰ ابنه عبد الله (رضي الله عنهما) في غَيْبَةٍ غابها:

((أما بعد: فإنه مَن اتقىٰ الله وَقَاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكره زاده، ومن أقرضه جَزَاه.

فاجعل التقوىٰ (*) جِلاءَ بصرك، وعِمَادَ ظهرك، فإنه لا عمل لمن لا نِيَّة له، ولا أَجْرَ لمن لا حسنةَ له، ولا خيرَ لمن لا خشيةَ له، ولا جديدَ لمن لا خَلَقَ[4] له))

{"الأمالي" لأبي علي القالي، و"العِقد الفريد " لابن عبد ربه، و"مناقب عمر بن الخطاب " لابن الجوزي}.

"المنتخب من وصايا الآباء للأبناء".

(4) الخَلَق: الثوب البالي – أي من لا قديم له ليس له جديد.

رسالة عمر في القضاء إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري[5]:

وهي التي جمع فيها جمل الأحكام، واختصرها بأجود الكلام، وجعل الناس بعده يتخذونها إماماً، ولا يجد محق عنها معدلا، ولا ظالم عن حدودها محيصا، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلىٰ عبد الله بن قيس. سلام عليك، أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحقٍّ لا نفاذ له. آسِ بين الناس بوجهك، وعدلك، ومجلسك، حتىٰ لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة علىٰ من ادعىٰ، واليمين علىٰ من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحًا أحل حرامًا، أو حرم حلالًا. لا يمنعنك قضاءٌ قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك، وهُديت فيه لرشدك، أن ترجع إلىٰ الحق فإن الحق قديمٌ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنةٍ، ثم اعرف الأشباه والأمثال، فقس الأمور عند ذلك، واعمد إلىٰ أقربها إلىٰ الله، وأشبهها بالحق، واجعل لمن ادعىٰ حقًا غائبًا أو بينة أمدا ينتهي إليها فإن أحضر بينته أخذت له بحقه وإلا استحللت عليه القضية، فإنه أنفىٰ للشك، وأجلىٰ للعمىٰ، المسلمون عدولٌ بعضهم علىٰ بعض إلا مجلوداً في حد، ومجربًا عليه شهادة زور، أو ظنينا في ولاء أو نسب، فإن الله تولىٰ منكم السرائر، ودرأ بالبينات والأيمان. وإياك والغلق والضجر، والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات، فإن الحق في

(5) الكامل في اللغة والأدب – محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: 285هـ) – المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة – الطبعة الثالثة 1417 هـ – 1997 م. 15/1.

مواطن الحق ليعظم الله به الأجر، ويحسّن به الذخر، فمن صحت نيته، وأقبل علىٰ نفسه كفاه الله بينه وبين الناس، ومن تخلّق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله، فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام.

رسالة عبد الحميد بن يحيىٰ الكاتب إلىٰ الكتاب:

"أما بعدُ ، حفِظكمُ الله يا أهلَ هذه الصناعة، وحاطكْم ووفقكمْ وأرشدكمْ؛ فإن الله جلَّ وعزَّ، جعل الناسَ بعد الأنبياءِ والمرسلينَ - صلواتُ الله عليهم أجمعين – ومن بعدِ الملوكِ المُكَرَّمينَ سُوَقا، وصرَّفهم في صنوفِ الصناعاتِ التي سبَّب منها معَاشَهم، فجعلكم معشر الكتاب في أشرفِها صناعة، أهلَ الأدبِ والمروءةِ والحِلمِ والرَّوِيَّة، وذوي الأخطار والهممِ وسَعَةَ الذَّرْعِ في الإفضال والصِّلة.

بكم ينتظم الملكُ، وتستقيمُ للملوكِ أمورُهم، وبتدبيرِكم وسياستِكم يُصلحُ اللهُ سلطانَهم ويجتَمعُ فيهم ، وتعمرُ بلادُهم، يحتاجُ إليكمُ الملكُ في عظيمِ مُلكِه ،والوالي في القدر السَّنِيِّ والدنيِّ من وِلايتِه، لا يستغْنِي عنكم منهم أحد، ولا يوجدُ كافٍ إلا منكم ، فموقعُكم منهم موقعُ أسماعِهمُ التي بها يسمعون، وأبصارِهمُ التي بها يُبصرون، وألسنتِهمُ التي بها ينطِقون، وأيديهمُ التي بها يَبْطِشون، أنتم إذا آلتِ الأمورُ إلىٰ مَوئِلها وصارت إلىٰ محاصِلِها، ثقاتُهم دونَ أهليهِم وأولادِهم وقراباتِهم ونُصَحائِهم، فأمْتعَكُمُ اللهُ بما خصَّكمْ من فضل صناعتِكم، ولا نزعَ عنكمْ سِرْبالَ النعمةِ عليكم.

وليس أحدٌ من أهل الصناعاتِ كلِّها أحوجَ إلىٰ استخراج خلالِ الخيرِ المحمودةِ وخصالِ الفضلِ المذكورةِ المعدودةِ منكم أيها الكتابُ، إن كنتم علىٰ ما سبقَ به الكتابُ من صفتِكم؛ فإن الكاتبَ

يحتاجُ من نفسه ويحتاجُ منه صاحِبُهُ الذي يثق به في مهمات أمورِه إلىٰ أن يكونَ حليما في موضع الحِلم ، فقيها في موضع الحُكم، مقداما في موضع الإقدامِ ومحجما في موضع الإحجام، لينا في موضع اللين، شديدا في موضع الشدةِ، موثرا للعفاف والعدل والإنصافِ كتوما للأسرارِ، وفيّا عند الشدائدِ، عالما بما يأتي ويذرُ ويضعُ الأمورَ في مواضعِها.

قد نظرَ في كل صِنفٍ من صنوف العلم فأحكمَه؛ فإن لم يحكمْهُ شدا منه شدوا يكتفي به، يكادُ يعرفُ بغزيرةِ عقلِه وحسنِ أدبِه وفضلِ تجربتِه ما يردُ عليه قبل ورودِه، وعاقبةَ ما يصدرُ عنه قبلَ صدورِه، فيُعِدّ لكلِّ أمرٍ عُدَّتَه ويهيئُ لكلِّ أمرٍ أُهْبَتَهُ.

فنافسوا معشرَ الكُتَّابِ في صُنُوف العلمِ والأدبِ، وتفقَّهوا في الدين، وابدءوا بعلم كتاب الله – عزَّ وجلَّ – والفرائضِ، ثم العربيَّةِ فإنَّها ثِقَافُ ألسنتِكم، وأجيدوا الخطَّ فإنَّه حليةُ كتبِكم، وارْوُوا الأشعارَ واعْرِفوا غريبَها ومعانيَها، وأيَّامَ العربِ والعَجَمِ وأحاديثَها وسيَرَها؛ فإنَّ ذلك مُعِينٌ لكم علىٰ ما تَسْمُون إليه بهِمَمِكُم، ولا يضعُفَنَّ نظرُكم في الحساب فإنه قِوَامُ كتَّابِ الخَرَاجِ منكم ، وارغَبُوا بأنفسِكم عن المطامعِ سَنِيِّهَا ودَنِيِّهَا، ومساوئِ الأمورِ ومَحَاقِرِها؛ فإنَّها مَذَلَّةٌ للرقاب، مَفْسَدَةٌ للكُتَّاب، ونزِّهوا صِنَاعَتَكم، وارْبَؤوا بأنفسكم عن السِّعاية والنميمة وما فيه أهلُ الدناءةِ والجهالةِ ، وإيَّاكم والْكِبْرَ والعظمةَ؛ فإنها عداوةٌ مُجْتَلَبَةٌ بغيرِ إِحْنَة، وتحابُّوا في الله – عز وجلَّ – في صناعتِكم، وتَوَاصَوْا عليها فإنها شيم أهل الفضلِ والنُّبْلِ من سَلَفِكم "

القسم الثالث: البلاغة

علم المعاني

الدرس الرابع: الخبر

تَقْسِيمُ الكلامِ إلى خَبَرٍ وإنشاء

الأَمثلة :

(١) قال أَبو إِسْحاقَ الغَزِّىُّ[١] :

لَوْلا أَبو الطَّيِّبِ الكِنْدِىُّ ما امْتَلَأَتْ
مَسَامِعُ النَّاس مِنْ مَدْحِ ابْنِ حَمْدَان

(٢) وقال أَبو الطَّيِّبِ :

لاَ أَشْرَئِبُّ إِلَى ما لَمْ يَفُتْ طَمَعاً
ولَا أَبِيتُ على ما فاتَ حَسْرَانَا[٢]

(٣) وقال أَبو العَتَاهِيَةِ :

إِنَّ البَخِيلَ وَإِنْ أَفَادَ غِنًى لَتُرَى عَلَيْهِ مَخَايِلُ الْفَقْرِ[٣]

* * *

(٤) وقال بَعْضُ الحكماء لِابْنِهِ :

يَا بُنَىَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ الاستماعِ كما تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الحديث.

---

(١) شاعر مجيد ، أتى فى قصائده الطوال بكل بديع ، ولد بغزة ، وهى بلدة بالشام وتوفى سنة ٥٢٤ هـ .

(٢) اشرأب إلى الشىء : تطلع إليه . (٣) أفاد غنى بمعنى استفاده ، والمخايل : العلامات ، يقول : إن البخيل تظهر عليه دائماً أمارات الفقر وعلاماته ، وإن كان غنياً كثير المال .

(٥) وأَوْصى عبدُ الله بنُ عبَّاس[١] رَجُلاً فقال :

لَا تَتَكلَّمْ بمَا لَا يَعْنِيك ، وَدَعِ الكَلَامَ فى كَثيرٍ ممَّا يَعْنيك حَتَّى تَجِدَ لَهُ مَوْضِعاً .

(٦) وقال أبو الطيب :

لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إلاَّ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
ما دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ البَدَنُ[٢]

البحث :

يخبرنا أبو إسحاق الغزِّىُّ بأَن أبا الطيب المتنبى هو الذى نشَر فضائل سيف الدولة بن حَمْدَانَ وأذاعها بين الناس . ويقول : لولا أبو الطيب ما ذاعت شهرة هذا الأمير ، ولا عَرَفَ الناس من شمائله كل الذى عرفوه ، وهذا قول يحتمل أن يكون الغزىّ صادقاً فيه كما يحتمل أن يكون كاذباً ؛ فهو صادق إن كان قوله مطابقاً للواقع ، كاذبٌ إن كان قوله غير مطابق للواقع .

والمتنبى فى المثال الثانى يخبر عن نفسه بأَنه قانعٌ راض بحالهِ التى هو فيها ، فليس من عادته أن يتَطَلع مسْتَشرفاً إلى ما هو آت ، وليس من دأبهِ أن يَنْدَمَ على ما فات ، ومن المحتمل أن يكون كاذباً غير صادق .

كذلك يجوز أن يكون أبو العتَاهِيَةِ فى المثال الثالث صادقاً فيما قال وادعى ، ويجوز أن يكون غير صادق :

انظر بعد ذلك إلى المثال الرابع تجد قائله ينادى ولَده ويأْمره أن يتعلم حسْن الحديث ، وذلك كلام لا يَصِحُّ أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب ؛ لأَنه لا يُعْلمُنا بحصول شىء أو عَدَم حصوله ، وإنما هو ينادى ويأْمر .

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أحد أكابر الصحابة فى العلم سمى بالحبر لسعة علمه ، ومات بالطائف سنة ٦٨ هـ . (٢) يقول : لا تبال الزمان وصروفه ما دمت حياً ؛ فإن الشدة والرخاء يتعاقبان فيه على الحى ، فلا يأس مع الحياة .

كذلك لا يصح أن يَتَّصِفَ عَبْدُ الله بنُ عباس فى المثال الخامس ، والمتنبي فى المثال السادس بالصدق أو الكذب ، لأن كلاً منهما لا يخْبر عن حصول شيء أو عَدَمِ حصوله ، ولو أنك تتبعت جميع الكلام لوجدته لا يخرج عن هذين النوعين ، ويُسَمَّى النوعُ الأول **خبراً** والنوع الثانى **إنشاءً**.

انظر بعد ذلك إلى الجمل فى الأمثلة السابقة أو فى غيرها تَجدْ كل جملة مكونَةً من ركْنَيْن أساسيَّين هما المحكوم عليه والمحكوم به ، ويسمى الأول **مسنداً إليه** والثانى **مسنداً** أما ما عداهما فهو « قيد » فى الجملة وليس ركناً أساسيًّا.

القواعد :

(٢٨) الْكلامُ قِسْمان : خَبَرٌ وإِنْشَاءٌ :

(ا) فالخَبَرُ ما يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِقَائِلِه إِنَّهُ صَادقٌ فِيهِ أو كاذبٌ ، فإِنْ كانَ الكلامُ مُطَابقاً للواقِعِ كان قائِلهُ صَادِقاً ، وَإِنْ كانَ غَيرَ مُطَابقٍ لَهُ كان قائِلُهُ كاذباً[1] .

(ب) والإِنْشَاءُ ما لا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِقَائِلِه إِنَّهُ صَادِقٌ فِيهِ أَو كاذِبٌ .

(٢٩) لكلِّ جُمْلةٍ مِنْ جُمَل الْخبَر والإِنشاءِ رُكْنَان : مَحْكومٌ عليه ،

(١) الخبر إما جملة اسمية وإما جملة فعلية ، فالجملة الاسمية تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ليس غير ، فإذا قلت : الهواء معتدل لم يفهم من ذلك سوى ثبوت الاعتدال للهواء من غير نظر إلى حدوث أو استمرار ، وقد يكتنفها من القرائن ما يخرجها عن أصل وضعها فتفيد الدوام والاستمرار كأن يكون الكلام فى معرض المدح أو الذم ، ومن ذلك قوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم ».

أما الجملة الفعلية فموضوعة لإفادة الحدوث فى زمن معين مع الاختصار ، فإذا قلت : « أمطرت السماء » لم يستفد السامع من ذلك إلا حدوث الإمطار فى الزمن الماضى ، وقد تفيد الاستمرار التجددى بالقرائن كما فى قول المتنبى :

تدبر شرق الأرض والغرب كفه ... وليس لها يوماً عن المجد شاغل

فإن المدح قرينة دالة على أن التدبير أمر مستمر متجدد آنا فآناً .

والجملة الإسمية لا تفيد الثبوت بأصل وضعها ولا الاستمرار بالقرائن ، إلا إذا كان خبرها مفرداً أو جملة اسمية ، أما إذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تفيد التجدد .

وَمَحْكوم بهِ ، وَيُسمَّى الأَوَّلُ مُسْنَدًا إليْه ، والثانى[1] مُسْنَدًا[2] ، وَما زَادَ عَلَى ذلكَ غَيْر الْمُضَافِ إلَيْهِ والصِّلَةِ فَهُوَ قَيْدٌ[3] .

نَمُوذَجٌ

لبيان أنواع الجمل وتعيين المسند إليه والمسند فى كل جملة رئيسية[4] :

(١) قال عبد الحميد الكاتب[5] يوصى أهل صِناعته بمحاسن الآداب :

تَنَافَسُوا[6] يَامَعَاشِرَ الكُتَّابِ فى صُنوف الآداب ، وتَفَهَّمُوا فى الدِّين ، وابْدَءُوا بعِلْم كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ ثمَّ العَرَبِيَّةِ ؛ فإنَّها نَفَاقُ ألسِنَتِكم[7] ثُم أجِيدوا الْخَطَّ فإنَّهُ حِلْيَةُ كُتُبِكُمْ ، وارْوُوا الأَشْعارَ واعْرِفُوا غَرِيبَها وَمَعَانِيها وأَيَّامَ العَرَب والعَجَم وأَحادِيثَها وسيرَها ، فإنَّ ذلك مُعِينٌ لَكمْ عَلَى ما تَسْمُو إلَيْهِ هِمَمُكُمْ .

(٢) قال أبو نُواس :

الرِّزْقُ والْحِرْمانُ مَجْرَاهُما بمَا قَضَى اللهُ ومَا قدَّرَا

فاصْبِرْ إذا الدَّهْرُ نَبَا نَبْوَةً فَجُنَّةُ الحازِمِ أَنْ يَصْبِرا[8]

---

(١) مواضع المسند إليه الفاعل ونائبه والمبتدأ الذى له خبر وما أصله المبتدأ كاسم كان وأخواتها . (٢) مواضع المسند هى الفعل التام ، والمبتدأ المكتفى بمرفوعه ، وخبر المبتدأ ، وما أصله خبر المبتدأ كخبر كان وأخواتها ، واسم الفعل ، والمصدر النائب عن فعل الأمر .

(٣) القيود هى أدوات الشرط والنفى والمفاعيل والحال والتمييز والتوابع والنواسخ .

(٤) تنقسم الجملة عند علماء المعانى إلى جملة رئيسية وجملة غير رئيسية ، والأولى هى المستقلة التى لم تكن قيداً فى غيرها . والثانية ما كانت قيداً فى غيرها وليست مستقلة بنفسها .

(٥) هو أبو غالب بن يحيى بن سعد ، كان كاتباً مبدعاً ، وقد برع فى إنشاء الرسائل وضرب المثل ببلاغته فى الكتابة ، حتى قال الثعالبى : فتحت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد ، وقد كتب لمروان آخر ملوك بنى أمية وقتل معه سنة ١٣٥ هـ .

(٦) تنافسوا : تباروا . (٧) نفاق ألستتكم : رواج كلامكم .

(٨) نبا نبوة : أساء إساءة من قولهم نبا السيف إذا لم يعمل فى الضريبة ، وجنة الحازم : وقايته .

إجابة (١)

الجملة	نوعها	المسند إليه	المسند
تنافسوا	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل (تنافس)
يا معاشر الكتاب	«	الفاعل المستتر فى الفعل أدعو الذى نابت عنه يا	الفعل (أدعو)
وتفهموا فى الدين	«	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل تفهم
وابدءوا بعلم كتاب الله	«	« « «	« ابدأ
فإنها نفاق ألسنتكم	خبرية	اسم إن (الضمير المتصل)	خبر إن (نفاق)
أجيدوا الخط	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل (أجدْ)
فإنه حلية كتبكم	خبرية	اسم إن (الضمير المتصل)	خبر إن (حلية)
وارووُا الأشعار	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	فعل الأمر (ارو)
واعرفوا غريبها	«	« (« «)	« (اعرف)
فإن ذلك معين لكم	خبرية	اسم إن (اسم الإشارة)	خبر إن (معين)

إجابة (٢)

الجملة	نوعها	المسند إليه	المسند
الرزق والحرمان إلى آخر البيت	خبرية	المبتدأ (الرزق)	الخبر (جملة مجراهما إلخ)
فاصبر	إنشائية	الفاعل (الضمير فى اصبر)	الفعل (اصبر)
فجنة الحازم أن يصبر	خبرية	المبتدأ (جنة الحازم)	الخبر (أن يصبر)

تمرينات

(١)

ميِّز الجمل الخبرية من الجمل الإنشائية . وعيِّن المسند إليه والمسند فيما يأتى :

(ا) مما يُنْسَبُ لعلىٍّ بن أبى طالب رَضىَ الله عنه فى رسالة إلى الحارث الهَمذانى[١] : تمسَّك بحبْل القرآن واسْتنْصِحْه وأَحِلَّ حلاَلَهُ وحرِّم حرَامه واعْتَبِرْ بِمَا مَضَى من الدنيا ما بَقىَ منها[٢] فإن بعضَها يُشْبِهُ بَعْضًا ، وآخِرُها لاحقٌ بأَوَّلها ، وكلها حائلٌ مفارقٌ[٣] ، وعظِّم اسْمَ اللهِ أن تَذْكُرَهُ إلاَّ على حقّ[٤] .

(ب) ومما يُنْسَبُ إليه أيضاً :

تَوَقوا البَرْدَ فى أَوَّلِهِ ، وتَلَقَّوْه فى آخِره فإنه يَفْعَلُ بالأَبدانِ كَفِعْله فى الأَشْجَارِ ، أَوَّلُهُ يحْرِقُ ، وآخِرُهُ يُورق .

(ح) وكَتَبَ بعض البلغاء فى الاستعطاف :

لُذْتُ بعفْوكَ ، واسْتَجَرْتُ بصَفْحِكَ ، فأَذِقْنِي حَلاَوةَ الرِّضا ، وأَنْسِنى مَرَارةَ السُّخْط فيما مَضَى .

(٢)

تفهم الأَبيات الآتية ، وميِّز فيها الجملَ الخبريةَ من الجمل الإنشائية ، وعيِّن المسند إليه والمسند فى كل جملة :

(ا) قال صاحب العِقْد الفريد[٥] يصِف الدُّنيا :

أَلا إنما الدُّنْيا نَضَارةُ أَيْكَةٍ إذَا اخْضَرَّ منها جانِبٌ جَفَّ جانِبُ[٦]

---

(١) هو الحارث بن عبد الله بن كعب الهمذانى الكوفى ، كان راوية لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة ، توفى سنة ٧٠ هـ .

(٢) اعتبر : قس ، والمعنى قس الباقى بالماضى . (٣) حائل : متغير .

(٤) أى لا تحلف بالله إلا على حق تعظيماً له وإجلالا .

(٥) هو أحمد بن محمد القرطبى المشهور بابن عبد ربه ، كان عالماً أديباً كثير الحفظ والاطلاع على أخبار الناس ، وقد اشتهر بكتابه العقد الفريد ، توفى سنة ٣٢٨ هـ .

(٦) النضارة : الحسن والرونق ، والأيكة : الشجرة .

هىَ الدارُ مَا الآمالُ إلا فَجَائعٌ عَلَيْها ولاَ اللَّذاتُ إلا مَصَائبُ
فَلاَ تَكْتَحِلْ عيْنَاكَ فيها بِعَبْرَةٍ عَلى ذَاهِب مِنْهَا فإنَّكَ ذَاهِبُ[١]

(ب) وقال ابن المعتز :

لَيْسَ الكرِيمُ الذى يُعْطِى عَطِيَّتَهُ عَنِ الثناءِ وإنْ أَغْلى به الثَّمَنَا
بل الكَرِيمُ الذى يُعْطِى عَطِيَّتَهُ لِغَيْرِ شَيْءٍ سِوى اسْتِحْسانِهِ الحَسَنَا
لا يَسْتَثِيبُ بِبَذْلِ العُرْفِ مَحْمَدَةً ولاَ يَمُنُّ إذا ما قلَّدَ المِنَنَا[٢]

(٣)

أُنثر البيتين الآتيين نثرًا فصيحاً ، ثم عَين الجمل الخبرية والجمل الإنشائية التى تأْتى بها فى نثرك :

ولاَ تَصْطَنِعْ إلا الكِرَامَ فإنهم يُجَازُونَ بالنَّعماءِ مَنْ كان مُنْعِما[٣]
وَمَنْ يَتَّخِذْ عند اللئامِ صَنيعةً تَجِدْهُ عَلى آثارها مُتَنَدِّما[٤]

(٤)

(ا) صف حياة القَرويِّين فى أُسْلوب خَبرِى لا يتخلله شىء من الجمل الإنشائية .

(ب) اكتب إلى أَرمَدَ ترجو له الشفاءَ ، وتنصحه بما يساعده على السلامة من دائه وضَمِّن رسالتك إليه طائفةً من الجمل الإنشائية .

---

(١) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض. (٢) يستثيب : يسأل أن يثاب . والعرف : المعروف . والمحمدة : الحمد . ويمن : يمتن بتعداد النعم . وقلد المنن : أولاها . والمنن : جمع منة وهى النعمة ، يقول : إن الكريم هو الذى يبذل المعروف ولا يطلب عليه حمداً ، ويولى الجميل ولا يمتن به .

(٣) اصطنع الكرام : أحسن إليهم ، والنعماء : النعمة والإحسان .

(٤) الصنيعة : اليد والإحسان .

الْخَبَرُ

(١) الغرضُ مِنْ إِلْقَاء الْخَبر

الأَمثلة :

(١) وُلِدَ النَّبىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الفِيل[١] ، وَأُوحى إِلَيْهِ فِى سِنِّ الأَرْبَعينَ ، وَأَقَامَ بمكةَ ثَلاثَ عشْرَةَ سَنَةً ، وَبالْمَدِينَةِ عَشْرًا .

(٢) كانَ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز[٢] لا يَأْخُذُ مِنْ بَيْتِ المال شيئاً ، وَلَا يُجْرِى عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْفَىْءِ[٣] دِرْهَماً.

* * *

(٣) لَقَدْ نَهَضْتَ مِنْ نَوْمِكَ اليومَ مُبَكِّرًا .

(٤) أَنْتَ تَعْمَلُ فِى حَدِيقَتِك كلَّ يَوْم .

* * *

(٥) قال يَحيَى البَرْمَكىُّ[٤] يُخَاطِبُ الخليفةَ هَرُونَ الرَّشيد[٥] :

إِنَّ البَرَامِكَةَ الذِيـ ... ـنَ رُمُوا لَدَيْكَ بدَاهِيَهْ

صُفْرُ الوُجُوهِ عَلَيْهِمُ ... خِلَعُ[٦] المَذَلَّةِ بَادِيَهْ

---

(١) عام الفيل : هو العام الذى غزا فيه أبرهة ملك اليمن مكة ، ثم رجع عنها خائباً بعد أن تغشى المرض فى جنده ومات فيله. (٢) هو الخليفة الصالح والملك العادل عمر بن عبد العزيز ابن مروان بن الحكم الأموى . ولى الخلافة سنة ٩٩ هـ وتوفى سنة ١٠١ هـ ، وأخبار عدله وزهده كثيرة مشهورة . (٣) الفىء : الخراج والغنيمة .

(٤) هو أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك وزير هرون الرشيد ، كان كاتباً بليغاً صائب الرأى حسن التدبير يبارى الريح كرماً وجوداً ، سجنه هرون الرشيد حين تغير على البرامكة ، وبقى فى سجنه حتى مات سنة ١٩٠ هـ . (٥) هو أحد الخلفاء العباسيين المشهورين بالفضل والفصاحة والكرم ، كان يحب الشعراء ويميل إلى أهل الأدب والفقه ، بويع بالخلافة سنة ١٧٠ وتوفى بطوس سنة ١٩٢ هـ . (٦) الخلع : الملابس ، يقول : إن ملابس الذل ظاهرة عليهم .

(٦) قال الله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام :

« رَبِّ إِنِّى وَهَنَ العَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ».

(٧) قال أحد الأعراب يرثى ولده :

لمَّا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالأَسَى
أَجَابَ الأَسَى طَوْعاً وَلَمْ يُجب الصَّبْرُ[١]
فإن يَنْقَطِعْ مِنْكَ الرَّجاءُ فَإِنَّهُ
سَيَبْقَى عَلَيْكَ الحُزْنُ مَا بَقِىَ الدَّهْرُ

(٨) قال عَمْرُو بْنُ كُلْثوم[٢] :

إِذَا بَلَغَ الفِطَامَ لَنَا صَبِىٌّ تخرُّ لَهُ الجبابرُ سَاجِدِينا

(٩) كَتَبَ طَاهِرُ بْنُ الحُسَيْن[٣] إلى العباس بن موسى الهادِى[٤] وقَدْ ٱسْتَبطأَهُ فى خَرَاجِ ناحيته :

وَلَيْسَ أَخُو الحاجاتِ مَنْ باتَ نائماً
ولَكنْ أَخُوها مَنْ يَبيت على وَجَلْ

البحث :

تدبَّر المثالين الأولين تجد المتكلم إنما يَقْصِد أن يُفيد المخاطب الحكم الذى تضمنه الخبرُ فى كل مثال ، ويسمَّى هذا الحكم فائدة الخبر فالمتكلم فى المثال الأول يريد أن يُفيد السامع ما كان يجهله من مولِدِ الرسول ، وتاريخ الإيحاء إليه ، والزمن الذى أقامه بعد ذلك فى مكة

(١) الأسى : الحزن . (٢) هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم ينتهى نسبه إلى تغلب ، وهو صاحب المعلقة التى مطلعها : « ألا هبى بصحنك فاصبحينا » . (٣) هو أبو الطيب طاهر بن الحسين من كبار الوزراء أدباً وحكمة وشجاعة ، وهو الذى وطد الملك للمأمون العباسى وتوفى بمدينة مرو سنة ٢٠٧ هـ . (٤) هو ثالث أبناء موسى الهادى الخليفة العباسى الرابع ، كان عاملا على الكوفة من قبل الأمين ، وتوفى سنة ١٩٦ هـ .

والمدينة . وهو فى المثال الثانى يخبره بما لم يكن يعرفه عن عُمَرَ بن عبد العزيز من العِفة والزُّهْد فى مال المسلمين .

تأمل بعد ذلك المثالين التاليين ، تجد المتكلم لا يَقْصِد منهما أن يُفيد السامع شيئاً مما تضمنه الكلام من الأحكام ؛ لأنّ ذلك معلومٌ للسامع قبل أن يعْلمه المتكلم ، وإنما يريد أن يبين أنه عالم بما تضمنه الكلام . فالسامع فى هذه الحال لم يستفد علماً بالخبر نفْسِه ، وإنما استفاد أن المتكلم عالم به ، ويسمى ذلك **لازم الفائدة** .

انظر إلى الأمثلة الخمسة الأخيرة تجد أن المتكلم فى كل منها لا يقصد فائدة الخبر ولا لازم الفائدة ، وإنما يَقْصِد إلى أشياءَ أُخرى يَسْتطلعها اللبيب ويَلمَحُها منْ سِياق الكلام ، فيحيى البرمكى فى المثال الخامس لا يقصد أن ينبئ الرشيد بما وصل إليه حاله وحال ذوى قُرْباه من الذلِّ والصَّغار ؛ لأن الرشيد هو الذى أَمَرَ بهِ فهو أَولى بأن يعلمه ، ولا يريد كذلك أن يفيده أنه عالم بحال نفسه وذوى قرابته . وإنما يَستعطفه ويَسترحمه ويرجو شفقته ، عسى أن يُصْغى إليه فيعودَ إلى البرّ به والعطف عليه .

وفى المثال السادس يصف زكريا عليه السلام حالَه ويُظهر ضعفه ونفاد قوته . والأعرابى فى المثال السابع يتحسر ويُظهر الأسى والحزن على فَقْدِ ولده وفلذةِ كَبدِه . وعمْرو بن كلثوم فى المثال الثامن يَفخَر بقومه ، ويباهى بما لهم من البأْس والقوة : وطاهرُ بنُ الحسين فى المثال الأخير لا يقصد الإخبار . ولكنه يَحُثُّ عامله على النشاط والجدِّ فى جباية الخراج

وجميع هذه الأغراض الأخيرة إنما تفهَم من سياق الكلام لا من أَصْل وضْعِهِ .

القواعد :

(٣٠) الأَصْلُ فى الخَبر أن يُلقَى لأَحَدِ غَرَضَيْن :

(١) إفَادَةُ المخاطَبِ الحُكْمَ الذى تَضَمَّنَتْهُ الجُمْلَةُ ، وَيُسَمَّى ذلك الْحُكْمُ فَائِدَةَ الخَبر .

(ب) إفادة المخاطَبِ أَنَّ المتكلِّم عالمٌ بالحكْمِ ، ويُسَمَّى ذلك لازمَ الفائِدَةِ .

(٣١) قَدْ يُلْقَى الخَبَرُ لأَغْراضٍ أُخْرَى تُفْهَمُ مِنَ السِّيَاق ، مِنْها ما يأْتى :

(ا) الاِسْتِرْحامُ . (حـ) إِظْهارُ التَّحَسُّر.

(ب) إِظْهارُ الضَّعْفِ . (د) الفَخرُ .

(هـ) الحَثُّ على السَّعْى والجدّ .

نَمُوذَجٌ

فى بيان أَغراض الأَخبار

(١) كان مُعاويةُ[1] رضى الله عنه حَسَنَ السِّياسةِ والتَّدْبيرِ ، يحْلُمُ فى مواضع الْحِلْم ، وَيَشْتَدُّ فى مواضِعِ الشِّدَّة .

(٢) لَقَدْ أَدَّبْتَ بَنِيكَ باللين والرِّفقِ لا بالقَسْوَةِ والعِقاب .

(٣) تُوفِّىَ عُمَرُ بنُ الخطَّاب رَضى الله عنه سَنَةَ ثلاثٍ وعشرين من الهجرة.

(٤) قال أَبو فِراس الْحَمْدَانىُّ :

وَمَكَارِمِى عَدَدُ النجوم ومنزلى مَأْوَى الكِرَام وَمَنزل الأَضْياف

(٥) قال أَبو الطيب :

وَمَا كلُّ هاوٍ للْجَمِيل بفَاعِل وَلا كُلُّ فَعَّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ

(٦) وقال أَيضاً يَرثى أُخْتَ سَيْفِ الدَّوْلة :

غَدَرْتَ يامَوْتُ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عدَدٍ بِمَنْ أَصَبْتَ وَكَمْ أَسْكَتَّ مِنْ لجَب[2]

---

(١) هو من أجلة الصحابة ، وأحد كتاب النبى صلى الله عليه وسلم ، يضرب المثل بحلمه وكياسته ، وهو أول ملوك الدولة الأموية ، استقام له الملك عشرين سنة ، وتوفى سنة ٦٠ هـ .

(٢) اللجب : الضجيج واختلاط الأصوات ، يقول غدرت يا موت بسيف الدولة حين اغتلت أخته ، وكنت تفنى به العدد الكثير من أعدائه وتسكت لجبهم .

(٧) قال أبو العتاهية يَرثِى وَلَدَهُ عليًّا :

بكَيتكَ يا عليُّ بدَمْع عيْنِي فَمَا أَغْنى البُكاءُ عليك شَيْـا
وكانَتْ فِى حَيَاتك لِى عِظاتٌ وأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

(٨) إنَّ الثمانينَ وبُلِّغْتَهـــا قد أحوجت سمعى إلى تَرْجُمانِ

(٩) قال أبو العلاء المعرِّى :

وَلِى منطِقٌ لَمْ يرْضَ لى كُنْه مَنزِلى عَلَى أَنَّنِي بيْنَ السِّماكَيْنِ نازلُ[1]

(١٠) قال إبراهيمُ بن المَهْدِىِّ[2] يخاطب المأمون :

أَتَيْتُ جُـرْماً شنيعاً وأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلُ
فإنْ عفَـوْتَ فَمَنٌّ وإنْ قَتَلتَ فَعَدْلُ

الإجابة

(١) الغرض إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنه الكلام .

(٢) « إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بحاله فى تهذيب بنيه .

(٣) « إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنه الكلام .

(٤) « إظهار الفخر ، فإن أبا فِراس إنما يُريد أن يفاخر بمكارمه وشمائله .

(٥) « إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنه الكلام ؛ فإن أبا الطيب يريد أن يبين لسامعيه ما يراه فى بعض الناس من التقصير فى أعمال الخير .

(٦) « إظهار الأسى والحزن .

---

(١) السماكان : نجمان نيران يقال لأحدهما الأعزل وللآخر الرامح ، يقول : إن له عقلا ولساناً جعلاه يستصغر المنزلة الرفيعة التى هو فيها ، على أنها لرفعتها تشبه ما بين السماكين .

(٢) إبراهيم بن المهدى هو عم المأمون وأخو هارون الرشيد ، كان وافر الفضل غزير الأدب ، لم ير فى أولاد الخلفاء أفصح منه لساناً ولا أحسن منه شعراً . بويع له بالخلافة ببغداد سنة ٢٠٢ هـ ، ومات بسُرَّ من رأى سنة ٢٢٤ هـ .

(٧) الغرض إظهار الحزن والتحسر على فقد ولده .

(٨) « إظهار الضعف والعجز .

(٩) « الافتخار بالعقل واللسان .

(١٠) « الاسترحام والاستعطاف .

تمرينات

(١)

بيِّن أغراض الكلام فيما يأتى :

(١) مَنْ أَصْلَحَ مَا بينَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الناس ، ومَنْ أَصْلح أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْياه ، ومَنْ كان له من نفسه واعِظٌ كان عليه من الله حافظ .

(٢) إنك لَتَكْظِمُ الغَيْظَ وتَحْلُمُ عند الغضب ، وَتَتَجاوزُ عند القُدْرة ، وتَصْفحُ عن الزَّلة .

(٣) قال أبو فِراس الْحَمْدَانىُّ :

إنَّا إذا اشْتَدَّ الزمـــا نُ ونَابَ خَطبٌ وادْلَهمْ[1]
أَلفيْتَ حَـوْلَ بيُوتِنَا عُدَدُ الشَّجَاعَةِ والكَرَمْ[2]
لِلِقا العِدَا بِيضُ السيو فِ وللنَّدى حُمْرُ النَّعمْ[3]
هـــذا وهـــذا دأْبُنـــا يُودَى دمٌ ويُراقُ دمْ[4]

(٤) قال الشاعر :

مَضَت اللَّيالى البيضُ فى زَمَنِ الصِّبَا وَأَتَى الْمَشِيبُ بِكلِّ يوْم أَسْودِ

---

(١) ادلهم الليل : اشتدت ظلمته ، وادلهم الخطب : اشتد وعظم . (٢) عدد الشجاعة : آلات الحرب . وعدد الكرم : وسائل الجود والعطاء . (٣) حمر النعم : الإبل الحمراء . (٤) يودى دم : تعطى ديته ، أى نحن شجعان نقتل أعداءنا وبعد الظفر نؤدى دية القتلى ، ويراق دم : يسال للقرى . وقد تكون يودى من ودى بمعنى سال ويقصد به سفك دم الأعداء .

(٥) قال مرْوانُ بْنُ أَبي حَفْصَةَ[١] من قصيدة طويلة يَرْثي بها معْن بن زائدةَ[٢] :

مَضَى لسبيله مَعْنٌ وَأَبْقى مكَارِمَ لَن تَبيـــد ولن تُنالا[٣]
كأَن الشَّمْسَ يَوْمَ أُصِيب مَعْنٌ مِنَ الإِظْـــلام مُلْبَسَةٌ ظِلاَلاَ
هوَ الجَبَلُ الَّذِى كانت نِزَارٌ تَهُدُّ مِنَ الْعُدَوّ به الْجِبالا[٤]
فإِنْ يَعْلُ البلاَدَ له خُشُوعٌ فقد كانتْ تطُولُ به اخْتِيالاَ[٥]
أَصَابَ الموْتُ يَوْمَ أَصاب مَعْناً مِنَ الأَحْياءِ أَكْرَمَهُمْ فَعالاَ[٦]
وَكان النَّاسُ كلهمُ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زار حُفْرَتَه عِيالاَ[٧]

(٦) وقال آخر :

فما لى حيلـــةٌ إِلاَّ رَجائى لِعَفْوِكَ إِنْ عَفَوْتَ وحُسْنَ ظَنِّى
فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِى فى الخَطَايا عضَضْتُ أَنامِلى وقَرعْتُ سِنِّى[٨]
يَظُنُّ النَّاسُ بى خَيْرًا وَإِنِّى لَشَرُّ الخَلْقِ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّى

(٧) قال أَبو نواس فى مرض موته :

دَبَّ فِىَّ السّقامُ سُفْلاً وَعُلْوَا وأَرَانِى أَمُـــوتُ عُضْوًا فَعُضْوَا
ذَهَبتْ جِـــدَّتِى بطَـــاعَةِ نَفسى وتذَكَّرتُ طـــاعَةَ الله نِضْوَا[٩]

---

(١) ولد مروان باليمامة ، وقدم بغداد ومدح المهدى وهارون الرشيد ، واتصل بمعن بن زائدة ومدحه ورثاه بقصائد غراء فضل بها على شعراء زمانه ، وتوفى ببغداد سنة ١٨١ هـ .

(٢) هو أبو الوليد معن بن زائدة ، كان جواداً شجاعاً جزيل العطاء ، خصه مروان ابن أبى حفصة بأكثر مدائحه وقد عاش فى دولتى بنى أمية وبنى العباس ، ثم قتله قوم من الخوارج سنة ١٥١ هـ . (٣) لن تبيد ولن تنال : أى لن يفنى ذكرها ولن يستطيع أحد أن يكون له مثلها . (٤) نزار قبيلة من قبائل العرب أبوها نزار بن معد . (٥) الخشوع : السكون وغض الصوت والبصر ، تطول : تمتد ، والاختيال : الكبر ، يقول : إن أصاب البلاد لموته خشوع غض من أبصارها فقد رفعت بحياته رأسها مباهاة وكبراً . (٦) الفعال بالفتح : الفعل وهو مصدر كالذهاب . (٧) عيال الرجل : من يعولهم وهو جمع عيل .

(٨) عضضت أناملى وقرعت سنى : أى ندمت من أجلها .

(٩) جد الشىء جدة صار جديداً ، والنضو : الثوب الخلق والبعير المهزول ، يقول : إنه أطاع هواه فى أيام شبابه ولم يتذكر طاعة الله إلا وقت الهرم والضعف .

الدرس الخامس: الإنشاء

الإنشاء

تقسيمُه إلى طلبي وغير طلبي

الأمثلة :

(١) أَحِبَّ لِغَيْرِكَ ما تحِبُّ لِنفْسِكَ .

(٢) من كلام الحسَن رَضِيَ الله عنه[١] :

لا تَطْلُبْ مِنَ الْجَزَاءِ إلَّا بقَدْرِ ما صَنَعْتَ .

(٣) وقال أبو الطيب :

أَلَا مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ اليَوْمَ عاتِباً
فَدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبا[٢]

(٤) وقال حسانُ بن ثابت :

يالَيْتَ شِعْرِى وَلَيْتَ الطَّيْرَ تُخْبِرُنِى
ما كانَ بَينَ عَلِيٍّ وابنِ عَفَّانَا !

(٥) وقال أبو الطيب :

يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ
وجْدَانُنَا كلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ[٣]

* * *

(١) هو سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان سيداً حليماً يكره الفتن والسيف ، حتى إنه نزل لمعاوية عن الخلافة حباً فى جمع الكلمة وترك القتال بين المسلمين ، توفى سنة ٤٩ هـ .

(٢) أمضى اسم تفضيل بمعنى أقطع وهو منصوب على المدح ، ومضارب السيوف حدودها ، وجملة فداه الورى وما يتصل بها دعاء .

(٣) يقول : إذا فارقناكم ، ووجدنا كل شيء فوجدانه والعدم سواء ، لأنه لا يغنى غناءكم أحد ولا يخلفكم عندنا بدل .

(٦) وقال الصِّمَّة بنُ عَبْدِ الله[١] :

بنَفْسِيَ تلْكَ الْأَرْضُ ما أَطْيَبَ الرُّبَا!
وما أَحْسَنَ الْمُصْطَافَ والمتَرَبَّعَا![٢]

(٧) وقال الجاحظ من كتاب :

أَمَّا بعدُ فَنِعْمَ البَديلُ من الزَّلَّةِ الاعتذارُ[٣] ، وبِئْسَ العوَضُ من التَّوبةِ الإِصْرَارُ[٤] .

(٨) وقال عبد الله بنُ طاهر :

لَعَمْرُكَ مَا بِالْعَقْل يُكتَسَبُ الغنى
ولا باكْتِساب المال يُكتَسَبُ العَقْلُ

(٩) وقال ذو الرُّمَّة[٥] :

لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ راحةً
مِنَ الْوَجْدِ أَوْيَشْفِي شَجىً البلابل[٦]

---

(١) شاعر غزل مقل بدوى . وهو من شعراء الدولة الأموية ، وكان شريفاً ناسكاً عابداً .

(٢) الربا : الأماكن العالية ، والمصطاف : منزل القوم فى الصيف ، والمتربع : منزلهم فى الربيع ، يقول : أفدى بنفسى تلك الأرض لطيب رباها وحسنها صيفاً وربيعاً .

(٣) البديل : البدل ، والزلة : السقطة فى الكلام وغيره ، يقول : إن مقابلة الزلل بالاعتذار محمودة . (٤) الإصرار : عقد النية على البقاء على الذنب ، يعنى أنه يجب على المذنب أن يتوب من ذنبه وألا يصر على ارتكابه .

(٥) من شعراء الدولة الأموية ، وكان بليغ الكلام لسناً ، أخذ من ظريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه أحد ، وهو أحسن أهل الإسلام تشبيباً ، ولكنه لم يحسن المدح ولا الهجاء ، توفى سنة ١١٧ هـ . (٦) الشجى : الحزين ، والبلابل : جمع بلبال وهو الهم ووسواس الصدر . والمراد بشجى البلابل المحزون الذى امتلأ صدره هماً وحزناً .

(١٠) وقال آخر :

عَسَى سَائِلٌ ذُو حاجَةٍ إنْ منَعْتَه
مِنَ الْيَوْمِ سُؤْلاً أَنْ يَكُونَ لهُ غَدُ[1]

البحث :

الأَمثلة المتقدمة جميعها إنشائية ، لأنها لا تحتمل صدقاً ولا كذباً ، وإذا تدبرتها جميعها وجدتها قسمين ؛ فأَمثلة الطائفة الأُولى يطلب بها حصول شيء لم يكن حاصلا وقت الطلب ، ولذلك يسمى الإنشاء فيها **طلبيًّا** . أما أَمثلة الطائفة الثانية فلا يطلب بها شيء ، ولذلك يسمى الإنشاء فيها **غير طلبيّ** .

تدبر الإنشاء الطلبى فى أَمثلة الطائفة الأُولى تجده تارة يكون بالأَمر كما فى المثال الأَول ، وتارة بالنهى كما فى المثال الثانى ، وتارة بالاستفهام كما فى المثال الثالث ، وتارة بالتمنى كما فى المثال الرابع ، وتارة بالنداء كما فى المثال الخامس ، وهذه هى أَنواع الإنشاء الطلبى التى سنبحث عنها فى هذا الكتاب[2] .

أُنظر إلى أَمثلة الطائفة الثانية تجد وسائل الإنشاء فيها كثيرة ، فقد يكون بصيغ التعجب كما فى المثال السادس ، أَو بصيغ المدح والذم كما فى المثال السابع أَو بالقسم كما فى المثال الثامن ، أَو بلعل وعسى وغيرهما من أَدوات الرجاء كما فى المثالين الأَخيرين ، وقد يكون بصيغ العقود كبعت واشتريت .

وأَنواع الإنشاء غير الطلبيّ ليست من مباحث علم المعانى ، ولذلك نقتصر فيها على ما ذكرنا ولا نطيل فيها البحث .

---

(١) لا يليق أن تمنع سائلا أتاك وله حاجة ، فإنك إن منعته فى يومك الذى هو لك فقد يكون له الغد فيجازيك على الحرمان بالحرمان . (٢) ويكون الإنشاء الطلبى أيضاً بالعرض والتحضيض والجمل الدعائية ، ولكنا اقتصرنا على الأنواع الخمسة لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية.

القاعدة :

(٣٦) الإنْشَاءُ نوعان طَلَبِيٌّ وغَيْرُ طَلَبِيٍّ :

(ا) فالطَّلَبِيُّ ما يَسْتَدْعى مَطْلوباً غَيرَ حاصل وقتَ الطلب ، ويكونُ بالأَمْر ، والنَّهْى ، والاستفهام ، والتمنّى ، والنِّداءِ[1] .

(ب) وغَيْرُ الطَّلبيّ ما لا يَسْتَدْعِي مطلوباً ، وله صِيَغٌ كَثيرةٌ منها : التَّعَجُّب ، والمَدْحُ ، والذمُّ ، والقَسَمُ ، وأفعالُ الرجاء ، وكذلك صِيَغُ العُقُودِ .

نَمُوذجٌ

لبيان نوع الإنشاء فى كل مثال من الأَمثلة الآتية :

(١) قال أبو تمام :

لا تَسْقِنى ماءَ الملام فَإِنَّنى صبٌّ قد استَعْذَبْتُ ماءَ بُكائِى

(٢) ومما يؤثر :

أَحْبِبْ حبيبكَ هوْناً ما عسى أَنْ يكون بغيضَكَ يَوْماً ما ، وأَبغِض بغيضَكَ هوْناً ما عسى أن يكون حبيبَكَ يوْماً ما .

(٣) قال ابن الزيات يمدح الفضْل بن سهْل[2] .

يا ناصِرَ الدِّين إذْ رثَّتْ حبائلُه لَأَنْتَ أكرمُ من آوَى ومنْ نصرا

---

(١) قد تكون الجملة خبرية فى اللفظ وهى إنشائية فى المعنى ، وعلى ذلك تعد فى باب الإنشاء ، كقول المتنبى يخاطب عضد الدولة : « فدى لك من يقصر عن فداكا » وكقوله يدعو لسيف الدولة بالشفاء من علة أصابته : « شفاك الذى يشفى بجودك خلقه » .

(٢) كان الفضل بن سهل وزيراً للمأمون وقد اشتهر ببلاغته وحسن كتابته وجمال خلاله وكان يلقب بذى الرياستين ، وقتل بسرخس سنة ٢٠٢ هـ .

(٤)لأُميَّةَ بن أبى الصَّلْت[١] فى طلب حاجة :

أَأَذْكُرُ حاجتى أَم قَدْ كفانِى حباؤُك إنَّ شِيمتَكَ الحياءُ

(٥)وقال زُهيْرُ بن أَبى سُلْمى[٢] :

نِعْم امْرأً هرِمٌ لَمْ تَعْرُ نَائِبةٌ إلَّا وكان لِمُرتاعٍ بها وَزرَا[٣]

(٦)قال امرؤُ القيس :

أَجارتَنــا إنَّا غَريبان هاهُنا وكلُّ غَريبٍ للغَريبِ نسِيبُ

(٧)وقال آخر :

ياليْت منْ يمْنَع المعْرُوفَ يَمْنعُهُ حتى يذوقَ رجالٌ غِبَّ ما صنَعُوا[٤]

(٨)وقال أبو نُواس يستعْطفُ الأَمين :

وحيــاة راسِك لَا أَعوُ دُ لِمِثْلِهَا وحياة راسِك

(٩)قال دِعْبلٌ الخُزاعى :

ما أَكْثر النَّاس ! لا، بلْ ما أَقَلَّهم! الله يعلَمُ أَنِّى لَمْ أَقُلْ فنَدا[٥]

إنِّى لأَفْتَحُ عيْنى حِين أَفتَحُها على كَثِير ولَكن لا أَرى أَحدا

---

(١) شاعر من شعراء الجاهلية ، قرأ كتب اليهود والنصارى وكان يمنى نفسه أن يكون النبى المبعوث من العرب ، ولما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم امتنع عن الإسلام حسداً له ، وفى شعره كثير من الألفاظ السريانية ، ومات أول ظهور الإسلام . (٢) أحد الثلاثة المقدمين على سائر شعراء الجاهلية ، وهم زهير وامرؤ القيس والنابغة ، كان لا يعاظل فى كلامه ، وكان يتجنب وحشى الشعر ولا يمدح أحداً إلا بما فيه ، وكان يضرب به المثل فى تنقيح الشعر حتى سميت قصائده بالحوليات ؛ لأنه كان يعمل القصيدة ثم يأخذ فى تنقيحها وعرضها على الشعراء فى سنة كاملة . (٣) تعر : تنزل ؛ والمرتاع : الخائف . الوزر : الملجأ . يمدح هرم ابن سنان بأنه ملجأ كل خائف وغياث كل ملهوف . (٤) الغب : العاقبة .

(٥) الفند بفتحتين : الكذب .

الجواب

رقم المثال	صيغة الإنشاء	نوعه	طريقته
١	لا تَسقنى ماءَ الملام	طلبى	النهى
٢	أحبب حبيبك هوناً ما	«	الأمر
	عسى أن يكون بغيضك يوماً ما	غير طلبىّ	الرجاء
	وأبغض بغيضك هَوْناً ما	طلبىّ	الأمر
	عسى أن يكون إلخ	غير طلبىّ	الرجاء
٣	يا ناصر الدين إلخ	طلبى	النداء
٤	أأذكر حاجتى	طلبى	الاستفهام
٥	نعم امرأً هرم	غير طلبى	المدح
٦	أجارتنا	طلبى	النداء
٧	يا ليت من يمنع إلخ	طلبى	التمنى
٨	وحياة راسك	غير طلبى	القسم
٩	ما أكثر الناس	«	التعجب
	ما أقلهم	«	«

تمرينات

(١)

بين صيغ الإنشاء وأنواعه وطرقه فيما يأتى :

(١) قال أبو الطيب يمدح نفسه :

ما أبعد العيْب والنقصَان عَن شَرفى! أنَا الثريَّا وذَانِ الشيْبُ والهَرمُ[1]

(١) يقول : إن العيب والنقصان بعيدان عنى مثل بعد الشيب والهرم عن الثريا ، فما دامت الثريا لا تشيب ولا تهرم فأنا لا يلحقنى عيب ولا نقصان .

(٢) وقال :

لعلَّ عَتْبك محْمُودٌ عَواقبُهُ ورُبَّما صحت الأَجْسامُ بالعِلَل

(٣) وقال :

فَيا لَيْتَ ما بيْنى وبيْن أَحِبَّتى مِن البُعْدِ ما بينى وبيْن المصائبِ

(٤) وقال فى مدح سيف الدولة :

ولَعمْرى لَقَدْ شَغَلْتَ المنَايا بالأَعادِى فَكَيْف يَطْلُبْن شُغلا ؟

(٥) وقال فيه أَيضاً :

يا منْ يقتِّل منْ أَراد بسيْفِهِ أَصْبحْتُ مِنْ قَتلاكَ بالإِحْسان(١)

(٦) وقال فيه أَيضاً :

تَاللهِ ما علِمَ امرؤٌ لَوْلاكُمُ كَيْف السَّخَاءُ وكيف ضَرْب الْهَام(٢)

(٧) وقال أَيضاً :

ومكايدُ السُّفَهَاء واقِعةٌ بهمْ وعــداوةُ الشُّعراء بئس المُقْتَنَى

(٨) وقال أَيضاً :

لُم اللَّيالِى التى أَخْنَتْ علَى جدَتى برقّة الْحال واعْذِرْنى ولا تَلُم(٣)

(٩) وقال أَيضاً :

بئْس الليالى سهدتُ مِن طَرَبٍ شَوْقاً إلى منْ يبيتُ يَرْقُدَها(٤)

(٢)

(١) كون ثمانى جمل إنشائية منها أَرْبعٌ للإنشاء الطلبى وأَربعٌ لغير الطلبىّ.

---

(١) أى أنت تقتل من شئت بسيفك ، ولكنك صيرتنى قتيلا بإحسانك . أى بالغت فى إحسانك إلى حتى عجزت عن شكرك فصرت كالقتيل . (٢) الهام : الرءوس .

(٣) أخنى عليه : أهلكه ، والجدة : المال والغنى ، ورقة الحال كناية عن الفقر .

(٤) سهدت : سهرت ، والطرب : خفة تعترى الإنسان من شدة حزن أو سرور .

(٢) ايت بصيغتين للقسم ، وأخريين للمدح والذم ، ومثلهما للتعجب.

(٣) استعمل الكلمات الآتية فى جمل مفيدة ، ثم بيِّن نوع كل إنشاء :

لا الناهية . همزة الاستفهام . ليت . لعل . عسى .

حبذا . لاحبذا. ما التعجبية . واو القسم . هل ..

(٣)

بيِّن الإنشاء وأنواعه والخبر وأضربه فيما يأتى :

(١) لعمرُك ما ضَاقت بلادٌ بأهلها ولكنَّ أخلاق الرجال تضيقُ[١]

(٢) إذا لم تكن نفسُ النَّسِيب كأصله فماذاالذى تغنى كرامُ المناصب؟[٢]

(٣) ليت الجبالَ داعتْ عند مصرَعِه دكًّا فلم يبق من أركانها حجرٌ

(٤) لئن حسُنت فيك المراثى وذكْرُها لقد حسُنت من قبلُ فيك المدائح

(٥) لِلّهْو آونة تمـر كأنها قُبلٌ يُزوِّدُها حبيبٌ راحلُ[٣]

(٦) أخِلاّى لو غَيْرُ الحِمَام أصابكم عَتَبْتُ ولكنْ ما علَى الدهر معتَبُ[٤]

(٧) إن المسـاءَةَ للمسرة موعِدٌ أختان رهنٌ للعشية أو غَدِ[٥]

فإذا سمعت بهالك فَتَيَقَّنَنْ أن السبيل سبيلهُ وتَزوّدِ[٦]

(٨) وكلُّ شجاعة فى المرء تُغنى ولَا مِثْل الشجاعة فى حكيم[٧]

---

(١) يقول : إن أرض الله واسعة لم تضق بأحد ، وإنما تضيق أخلاق الرجال وصدورهم .

(٢) يقول : إذا لم تكن نفس الرجل الشريف مشابهة لأصله فى الشرف والكرم ، لم ينفعه انتسابه إلى أصل كريم ومحتد شريف . (٣) يقول : إن ساعات اللهو مع لذتها قصيرة سريعة المرور ، كأنها القبل التى يزودها الحبيب الراحل ، فإن لذتها فى غاية القصر ثم تمر ولا يبقى منها إلا الذكرى . (٤) ينادى أصدقاءه الذين ماتوا ويقول : لو كان ما أصابكم غير الموت لعتبت عليه ولكن لا عتاب على الزمان ، لأنه إذا أخذ شيئاً لا يرده . (٥) يقول : إن المسرة لا تدوم فغايتها المساءة . (٦) يقول : إذا بلغك موت أحد فاعتبر به وتيقن أن سبيلك سبيله وتزود للآخرة بالعمل الصالح . (٧) يقول : إن الشجاعة كيفما كانت تدفع الهوان عن صاحبها ، ولكن الشجاعة فى الحكيم لا تقاس بها الشجاعة فى غيره ، لأنها حينئذ تكون مقرونة بالحزم فيكون صاحبها أبعد من الخيبة .

(٩) ذرينى فإن البخل لا يُخْلِدالفَتَى ولا يُهْلِكُ المعروفُ ممن هو فاعلُه

(١٠) وكل امرئٍ يوماً سيركب كارهاً على النعش أعناق العِداوالأقارب

(١١) وما الجمعُ بين الماء والنار فى يدى بأصعب من أن أجمع الجَدَّوالفهْما[1]

(١٢) يا ابنتى إن أردتِ آية حسن وجمالاً يزين جسماً وعقلا

فانْبُذِى عادة التبرج نبْذًا فجمالُ النفوس أسْمى وأعلَى

يصنع الصانعون وردًا ولكن وردةُ الروض لا تُضَارَع شكلا

(٤)

حوّل الأخبار الآتية إلى جمل إنشائية واستوف أنواع الإنشاء الطلبىّ التى تعرفها :

الروض مزهر ـ الطير مغرد ـ يتنافس الصناع

يفيض النيل ـ نَشِطَ العامل ـ أجاد الكاتب

(٥)

بيِّن نوع الإنشاء فى البيتين التاليين ، ثم انثرهما نثرًا فصيحاً .

يَأَيُّها المُتَحَلِّى غَيْرَ شِيمَتِهِ ومنْ شَمائِلُه التبْدِيلُ والمَلَقُ[2]

اِرْجع إلى خُلْقِكَ المعْرُوفِ دِيْدنُه إنَّ التَّخَلُّق يأْتى دونَهُ الْخُلُقُ[3]

---

(١) الجد : الحظ ، يقول إن العاقل محروم فى هذه الحياة غالباً ، لأن حسن الحظ والذكاء لا يجتمعان لحى كما لا يجتمع الماء والنار .

(٢) الشيمة : الخلق ، والشمائل الأخلاق وهو جمع مفرده شمال ، والملق : الود واللطف الظاهران ومنه الرجل الملق وهو الذى يعطى بلسانه ما ليس فى قلبه . (٣) الديدن : الدأب والعادة ، والتخلق : أن يتكلف الإنسان غير خلقه ، يقول : لا تتكلف ما ليس من خلقك ، لأنك إن فعلت غلبك طبعك ، وانكشف للناس تصنعك . .

الدرس السادس: القصر

الْقَصْرُ

تعريفه ـ طُرُقه ـ طَرَفاه

الأَمثلة :

(١) لَا يَفُوزُ إِلَّا الْمُجِدُّ . (٤) ما الأَرض ثابتةٌ بل متحركةٌ .
(٢) إِنما الحياةُ تَعَبٌ . (٥) ما الأَرض ثابتة لكن متحركة .
(٣) الْأَرْضُ مُتَحَرِّكَةٌ لا ثابتة . (٦) عَلَى الرِّجَال العاملين نُثْنى .

البحث :

إذا تأَملتَ الأَمثلة السابقة رأَيت أَن كل مثال منها يتضمن تخصيص أَمر بآخر ، فالمثال الأَولُ يفيد تخصيص الفَوْز بالمُجدِّ ، بمعنى أَن الفوز خاصٌّ بالمُجِدِّ لا يتعداه إِلى سواه . والمثال الثانى يُفيد تخصيص الحياة بالتَّعب ، بمعنى أَن الحياة وقْفٌ على التعب لا تفارقه إِلى الراحة . وهكذا يقال فى بقية الأَمثلة .

وإِذا أَردت أَن تعرف منشأَ هذا التخصيص فى الكلام ، كفاك أَن تبحث فى الأَمثلة قليلاً . خذ المثال الأَول مثلاً واحذف منه أَداتى النفى والاستثناء ، تجد أَن التخصيص قد زال منه وكأَنه لم يكن . إِذًا النفْىُ والاستثناءُ هما وسيلة التخصيص فيه ، وبمثل هذه الطريقة تستطيع أَن تدرك أَن وسائل التخصص فى الأَمثلة الباقية هى : إِنما : والعطف بلا ، أَو بل ، أَو لكن ، وتقديمُ ما حقه التأْخير . ويُسمِّى علماءُ المعانى التخصيص المستفاد من هذه الوسائل **بالقصر** ، ويسمون الوسائل نَفْسها **طرق القصر** .

ارجع إِلى الأَمثلة مرة أُخرى وابحث فيها واحدًا واحدًا : تجد المتكلم فى المثال الأَول يقْصُر الفوز على المُجد ، فالفوز مقصور ، والمُجدُّ مقصور عليه ، وهما **طرفا القصر** . ولما كان الفوز صفة من الصفات والمُجدُّ هو الموصوف بهذه الصفة ، كان القصر فى هذا المثال **قصر صفة على**

موصوف ، بمعنى أن الصفة لا تتعدى الموصوف إلى موصوف آخر . وتراه فى المثال الثانى يقْصُر الحياة على التعب ، فالحياة مقصورة ، والتعب مقصور عليه ، ولما كانت الحياة موصوفة والتعب صفة لها ، كان القصر فى المثال **قصر موصوف على صفة** ، بمعنى أن الموصوف لا يفارق صفة التعب إلى صفة الراحة ، ولو أنك تدبرت جميع أمثلة القصر ما ذكر منها هنا وما لم يذكر ، لوجدت كل مثال يشتمل على مقصور ومقصور عليه ، ووجدت القصر لا يخلو عن حال من الحالين السابقين . فهو إما قصر صفة على موصوف ، وإما قصر موصوف على صفة .

وإذا أردت أن تعرف ضوابط تسهل عليك معرفة كل من المقصور والمقصور عليه فى كل مايرد عليك ، فانظر إلى القواعد الآتية تجد ذلك مفصَّلاً .

القواعد :

(٥٧) الْقَصْرُ تخْصِيصُ أَمْرٍ بِآخَرَ بطَرِيقٍ مَخْصُوصٍ .

(٥٨) طُرُقُ الْقَصْرِ الْمَشْهُورَةُ أَرْبَع[1] :

(ا) النَّفْىُ والاِسْتِثْناء ، وهُنا يَكُونُ الْمَقْصُور عَلَيْهِ مَا بَعْدَ أَدَاةِ الاسْتِثْناء .

(ب) إِنّما ، وَيَكُونُ الْمقْصُورُ عَلَيْهِ مُؤخَّرًا وُجُوباً .

(حـ) الْعَطْفُ بلا ، أَوْ بَلْ ، أَوْ لَكِنْ ، فإِنْ كان العطفُ بلَا كان المقصورُ عليه مقابلاً لما بعدها ، وإن كان العطف ببَلْ أَوْ لكنْ كان الْمقصورُ عَلَيْهِ ما بَعْدَهُما .

---

(١) هناك طرق للقصر غير هذه الأربع ، منها ضمير الفصل نحو : على هو الشجاع ، ومنها التصريح بلفظ وحده أو ليس غير نحو : أكرمت محمداً وحده ، ولكنها لا تعد من طرقه الاصطلاحية .

(د) تقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ . وهُنا يَكُونُ الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ هُوَ الْمُقدَّمَ .

(٥٩) لِكلِّ قَصْر طَرَفان : مَقْصُور ، ومَقْصُورٌ عَلَيْهِ .

(٦٠) يَنْقسِمُ القصْرُ باعْتِبارِ طَرَفَيْهِ قِسْميْن :

(ا) قَصْرُ صِفَة عَلَى مَوْصُوف .

(ب) قَصْرُ مَوْصُوف عَلَى صِفَة .

تقسيم القَصْر إلى حقيقى وإضافى

الأَمثلة :

(١) لايُروى مِصْرَ مِنَ الْأَنْهارِ إلَّا النِّيلُ . (٣) لَا جَوادَ إلَّا عَلىّ .

(٢) إنَّما الرَّازق اللهُ . (٤) إنَّما حَسَنٌ شُجَاع .

البحث :

قدَّمنا لك أَن القصر ينقسم بحسب طَرَفَيه إلى قصر صفة على موصوف ، وقصر موصوف على صفة ، وهنا نريد أَن نبين لك أَنه ينقسم تقسيماً آخر باعتبار الحقيقة والواقع .

تأَمل المثالين الأَولين تجد القصر فيهما من باب قصر الصفة على الموصوف ، وإذا تدبرت الصفة فى كل من المثالين وجدت أَنها لا تفارق موصوفها إلى موصوف آخر مطلقاً ، فإرواءُ الأَرض المصرية فى المثال الأَول صفة لا تتجاوز النيل إلى غيره من سائر أَنهار الدنيا ، والرزقُ فى المثال الثانى صفة لا تتعدى المولى عز وجل إلى سواه ، ويُسمَّى القصر فى هذين المثالين **قصراً حقيقيًّا** ، وكذلك كل قصر يختص فيه المقصورُ بالمقصور

عليه اختصاصاً منظوراً فيه إلى الحقيقة والواقع بألّا يتعداه إلى غيره أصلاً.

انظر إلى المثالين الأخيرين تجد القصر فى أولهما من باب قصر الصفة على الموصوف وفى ثانيهما من باب قصر الموصوف على الصفة ، وإذا تدبرت المقصور فى كل منهما وجدته مختصًّا بالمقصور عليه بالإضافة (أى بالنسبة) إلى شىء معين ، لا إلى جميع ما عداه ، فإن المتكلم فى المثال الأول يقْصِد أن يقصر صفة الجود على علىٍّ بالنسبة إلى شخص آخر معين كخالد مثلاً ، وليس من قصده أن هذه الصفة لا توجد فى غير علىّ من جميع أفراد الإنسان ، فإن الواقع خلاف ذلك . وكذلك الحال فى المثال الثانى ، ولذلك يُسمى القصر فى المثالين **قصراً إضافيا** ، وكذلك كل قصر يكون التخصيص فيه بالإضافة إلى شىءٍ آخر .

القاعدة :

(٦٢) يَنْقَسِمُ القَصْرُ باعْتِبار الْحَقِيقَةِ والْواقِعِ قِسْمَيْن :

(ا) حَقِيقِيٌّ[1] وهُوَ أَنْ يَخْتَصَّ الْمَقْصُورُ بالْمَقْصُور عَلَيْهِ بحَسَبِ الْحَقِيقَةِ والْوَاقِعِ بألَّا يَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ أَصْلًا .

(ب) إِضَافِيٌّ[2] وهُوَ مَا كَانَ الاخْتِصَاصُ فِيهِ بحَسَبِ الإِضَافَةِ إِلَى شَيْءٍ مُعَيَّن[3] .

---

(١) القصر الحقيقى يكثر فى قصر الصفة على الموصوف كما رأيت فى الأمثلة ، ولا يكاد يوجد فى قصر الموصوف على الصفة .

(٢) القصر الإضافى يأتى كثيراً فى كل من قصر الصفة على الموصوف وقصر الموصوف على الصفة كما رأيت فى الأمثلة ، وهو ميدان فسيح لتنافس الكتاب والشعراء .

(٣) ينقسم القصر الإضافى باعتبار حال المخاطب ثلاثة أقسام ، وذلك أنك إذا قلت الشجاع على لا حسن مثلا ، فإن كان المخاطب يعتقد اشتراك على وحسن فى الشجاعة كان القصر « قصر إفراد » ، وإن كان يعتقد عكس ما تقول كان القصر « قصر قلب » ، وإن كان متردداً لا يدرى أيهما الشجاع كان القصر « قصر تعيين » .

نمُوذَجٌ (١)

بيِّن فيما يأْتى نوع القصر وعيِّن كلاًّ من المقصور والمقصور عليه :

(١) قال تعالى : «إنَّما يخشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ».

(٢) قال تعالى : «وما مُحمَّدٌ إلا رسُولٌ قَدْ خلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مات أَوْ قُتِل انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابكُمْ» ؟

(٣) قال لَبِيد :

وما المرْءُ إلَّا كالهِلالِ وضَوْئِهِ يُوافى تمامَ الشهْر ثم يَغِيبُ

(٤) وقال ابن الرُّومى فى المدح :

أَمْوالُهُ فى رقاب الناس مِنْ مِنَنٍ لَا فى الخزَائن مِنْ عيْنٍ ومن نَشبِ[1]

(٥) وقال :

وما عجبْنا وإنْ أَصْبحْتَ تُعْجِبُنَا أَنْ نَجْتَنى ذَهباً مِنْ موْضِعِ الذَّهب

لكن عجِبنا لِعُرْفٍ لا نكافئُهُ ونَسْتَزيدُك مِنهُ أَكْثَر العجبِ

(٦) وقال الغَطمَّشُ الضَّبِيُّ[2] :

إلى الله أَشكو لَا إلى الناس أَنَّنى أَرى الأَرضَ تَبْقى والأَخِلَّاءَ تذْهب

---

(١) العين : الذهب والفضة ، والنشب : المال ، يقول : إنه ينفق أمواله فى المنن التى يقلد بها أعناق الرجال ولا يخزنها فى خزائنه .

(٢) شاعر جاهلى من شعراء الحماسة ، والغطمش : الجائر الظالم .

الإجابة

الرقم	نوع القصر باعتبار طرفيه	نوعه باعتبار الواقع	طريق القصر	المقصور	المقصور عليه
١	صفة على موصوف	حقيقى	إنما	يخشى الله	العلماء
٢	موصوف على صفة	إضافى	النفى والاستثناء	محمد	رسول
٣	» » »	»	» »	المرء	كونه كالهلال
٤	» » »	»	العطف بلا	أمواله	كونها فى رقاب الناس
٥	صفة على موصوف	»	العطف بلكن	عجبنا	لعرف لا نكافئه
٦	» » »	»	تقديم الجار والمجرور	أشكو	لفظ الجلالة

نَمُوذَج (٢)

عيِّن المقصور عليه فى الجملتين الآتيتين ، وبين الفرق بينهما فى المعنى :

(ا) إنما يُدافعُ عنْ أَحْسابِكُمْ علىٌّ . (ب) إنما على يدافع عن أحسابكم.

الإجابة

(ا) المقصور عليه فى الجملة الأُولى علىّ[1] فالمتكلم يقول لمخاطبيه : علىٌّ وحده يستقل بالدفاع عن أحسابكم ولا يشترك معه فى ذلك أحد . ومن الجائز أن تكون لعلى أعمال أُخرى يخدمُهم بها غير هذه المدافعة ، كمعالجة مرضاهم ومواساة فقرائهم .

(ب) أما فى الجملة الثانية فالمقصور عليه المدافعة ، فعلى لا يقوم بسواها من الأعمال ، على أنه من الجائز أن يشترك معه فى الدفاع سواه . فأنت ترى أن الجملة الأُولى أبلغ فى مدح على من وجهين : أما أولاً فلأنها تفيد أنه مستقل بالدفاع لا شريك له فيه ، وأما ثانياً فلأنها لا تنفى أن له أعمالا أُخرى غير المدافعة .

---

(١) وذلك لأنك قد علمت أن المقصور عليه مع إنما يكون مؤخراً وجوباً .

تمرينات

(١)

بين نوع القصر ، وطريقه ، وعيِّن كلاًّ من المقصور والمقصور عليه فيما يأتى :

(١) قال تعالى : « إنما علَيْكَ الْبلاَغُ وعلَيْنَا الحِسابُ » .

(٢) وقال تعالى : « إياك نَعْبُدُ وإياكَ نَسْتعِين » .

(٣) وقال ابن الرومى يمدح :

معْرُوفهُ فى جميع النَّاس مُقْتَسَمٌ ... فَحمْدُهُ فِى جمِيعِ النَّاس لاَ الْعُصَب[1]

(٤) وقال :

يَتغــابى لهُمْ ولَيْس لِمُوق ... بلْ لِلُبٍّ يفُوقُ لُبَّ اللَّبيبِ[2]

(٥) وقال :

يهْتَزّ عِطْفاهُ عِنْد الحمْدِ يَسْمعُهُ ... منْ هِزّةِ الْمجْدِلَا مِنْ هِزَّةِ الطَّرب[3]

(٦) وقال :

وما قُلْتُ إِلَّا الحقَّ فيكَ ولَمْ تَزلْ ... علَى منْهَجٍ مِنْ سُنَّةِ الْمجْدِلاحِب[4]

(٧) وقال ابن المعتز :

أَلا إِنَّما الدُّنْيا بلاغ لِغاية ... فَإِمَّا إِلى غَىٍّ وإِمَّا إِلى رُشدِ

(٨) وقال :

وما العيْشُ إِلَّا مدَّةٌ سوْف تَنْقَضى ... وما الْمالُ إِلا هالِكٌ وابْنُ هالِكِ

(٩) وقال أَبو الطيب :

برجاءِ جُودِك يُطرِدُ الْفَقْــرُ ... وبأَنْ تُعــادَى يَنْفَدُ العُمْرُ

---

(١) يقول : إن معروفه عام لجميع الناس لا خاص بطوائف بعينها .
(٢) يتغابى : يظهر الغباوة ، والموق : الحمق فى غباوة ، واللب : العقل .
(٣) عطفاه : جانباه ؛ يعنى يميل يمنة ويسرة .
(٤) المنهج : الطريق الواضح ، واللاحب : الطريق الواضح أيضاً .

(١٠) وقال :

لَيْس التَّعجُّبُ مِنْ مواهِبِ ماله بل مِن سلامتها إلى أَوْقاتها[١]

(١١) وقال تعالى : « وما توْفِيقى إلَّا باللهِ علَيْهِ تَوكَّلتُ وإلَيْهِ أُنِيبُ » .

(١٢) إلى الله أَشكو أَنَّ فى النفْسِ حاجةً تمرُّ بها الأَيامُ وهْى كما هِيا

(١٣) وقال أَبو الطيب :

وإنما نحْنُ فى جيل سواسِية شُرٍّ عَلَى الْحُرِّ مِنْ سُقْمٍ على بَدَنِ[٢]

(١٤) راحلٌ أَنت والليالى نزولُ ومضرٌّ بك البقاءُ الطويل

(١٥) وقال ابن الرومى :

وما يُرِيغُونَ بالنُّعْمَى مُكافأَةً لَكِنْ يُقَضُّونَ مالِلْمجْدِ مِنْ أَرَب[٣]

(١٦) وقال أَبو العتاهية يمدحُ يزيدَ بْن مزيد الشَّيْبانى[٤] :

كأَنكَ عِنْد الْكَرِّ والحرْب إنَّما تَفر مِن الصفِّ الذى مِن ورائكا

فَما آفةُ الأَبطال غَيرَكَ فى الْوغَى وما آفةُ الأَمْوالِ غَيْر حِبائكا

(١٧) وقال أَبو تمام :

على مثلها من أَربُعٍ وملاعِبِ تُذَالُ مَصُوناتُ الدموعِ السواكب[٥]

---

(١) يقول لا نتعجب من كثرة هباته ، وإنما نتعجب كيف بقيت أمواله وسلمت من التفريق إلى أوقات بذلها إذ ليس من عاداته أن يمسك شيئاً .

(٢) الجيل : الصنف من الناس ، وسواسية بمعنى متساوين وهو خاص بالذم أى متساوين فى اللؤم والخسة ، وشر : اسم تفضيل بمعنى أشر .

(٣) يقول : لا يطلبون جزاء على نعمهم ولكنهم يقضون واجب المجد .

(٤) قائد شجاع . كان والياً بأرمينية ، وندبه هرون الرشيد لقتال الوليد بن طريف عظيم الخوارج فى عهده فقتله يزيد وعاد إلى أرمينية ، وتوفى سنة ١٨٥ هـ ، ورثاه شعراء كثيرون .

(٥) الأربع جمع ربع وهو المنزل ، والملاعب : أمكنة لعب الناس أو هبوب الرياح ، وتذال : تهان .

(٢)

عيِّن المقصور عليه فى الجمل الآتية ، وبين الفرق بينها فى المعنى :

(ا) إنما يحِبُّ علىٌّ السباحة فى الصباح .

(ب) إنما يحب السباحة فى الصباح علىّ .

(حـ) إنما يحب على فى الصباح السباحة .

(٣)

أىُّ الجملتين أبلغُ فى مدح سعيد ؟ وضح السبب :

(ا) إنما يجيد الْخِطابةَ سعِيدٌ .

(ب) إنما سعيد يجيدُ الخطابةَ .

(٤)

اجعل الجمل الآتية مفيدة للقصر ، ثم بين نوع القصر وطريقه :

(١) الفراغُ مفْسدةٌ .

(٢) بركةُ المال فى أداءِ الزكاة .

(٣) السلامة فى التأنى .

(٤) صداقةُ الجاهل تَعَبٌ .

(٥) سكتٌّ عن السَّفيه .

(٦) طُول التجارب زيادةٌ فى العقل .

(٧) يدُومُ السرور برؤْية الإخوان .

(٨) غَدَرَكَ منْ دلَّكَ على الإساءة .

(٩) يسُودُ المرءُ قوْمه بالإحسان إليهم .

(١٠) وضْعُ الإحْسان فى غير موْضِعِهِ ظلمٌ .

(٥)

ما يسُرُّ الوالِدَيْن إلَّا نَجابَةُ الأبناءِ .

متى يكون القصر فى هذه الجملة قصر قلب ؟ ومتى يكون قصر إفراد ؟ ومتى يكون قصر تعيين ؟

(٦)

(١) اجعل الجملة الآتية دالة على قصر صفة على موصوف من غير أن تزيد على كلماتها شيئاً : نَحْترمُ العالِمَ العامِلَ .

(٢) اجعل الجملة الآتية دالة على القصر واستخدم فى ذلك طرق القصر التى تعرفها : مَلِلنا صُحْبة الجُهّال .

(٣) عِند البلاءِ يُعْرف الصَّديقُ .

اجعل الجملة السابقة دالة على القصر مرة من طريق النَّفْى والاستثناء ، ومرة من طريق العطف .

(٧)

رُدَّ بأُسْلُوبٍ من أساليب القصر على من اعتقد أَنَّ الأَرض ثابتة ، ثم بين نوع القصر وطريقه فى الجملة التى تأْتى بها .

(٨)

وضِّح ما اشتملت عليه القصة الآتية من أنواع القصر ، وطرقه ، وبين المقصور والمقصور عليه فى كل جملة فيها قصر :

زَعم العربُ أَنَّ أَرْنباً التقطت تمرةً فاختلسها الثَّعلبُ فأَكلها ، فانْطَلقا يختصمان إلى الضَّب ، فقالت الأَرنب : يا أَبا الحِسْل[1] ؛ فقال : سمِيعاً دعوْت ؛ قالت : أَتيناك نختصم ؛ قال : عادلًا حكّمْتُما ؛ قالت : فاخرج إلينا ؛ قال : فى بيته يُؤْتَى الحكم[2] ؛ قالت إنِّى وجدتُ تمرَة ؛ قال ، حُلْوة فكليها ؛ قالت : فاختلسها ثعالَةُ[3] ؛ قال : لنفسه بغى الخيْر ؛ قالت فَلطمْتُهُ لَطْمةً : قال : بحقكِ أَخذْتِ ؛ قالت فَلَطَمَنى أُخْرى ؛ قال : حرٌّ انْتَصر ؛ قالت : فاقض بيْننا ؛ قال : قدْ فَعلْتُ .

فذهبت أَقواله كلُّها أَمثالًا .

---

(١) أبو الحسل : كنية الضب .
(٢) الحكم : الذى يحكم بين الناس .
(٣) ثعالة : لقب الثعلب .

(٩)

(١) هات جملتين لقصر الصفة على الموصوف بحيث يكون فى الأُولى حقيقيًّا وفى الثانية إضافيًّا .

(٢) هات جملتين لقصر الموصوف على الصفة بحيث يكون القصر فيهما إضافيًّا .

(٣) مثل لكل طريق من طرق القصر بمثالين يكون المقصور عليه فى أولهما صفة ، وفى ثانيهما موصوفاً .

(٤) هات مثالين لقصر الموصوف على الصفة بحيث يكون طريق القصر فى أولهما العطف ببل ، وفى ثانيهما العطف بلكن .

(١٠)

اشرح البيتين الآتيين وبيِّن نوع القصر وطريقه فيهما ، وهما لأبى الطيب فى مدح أبى شجاع فاتك[١] :

لَا يدْرِكُ المجْدَ إلَّا سيِّدٌ فطنٌ لِما يَشُقُّ على السادات فعَّالُ[٢]
لا وارثُ جهلَتْ يُمْناهُ ما وهبَتْ ولا كَسُوبٌ بغَيْر السَّيْف سئّال

---

(١) هو فاتك الكبير المعروف بالمجنون ، كان رومياً أخذه الإخشيد كرهاً من سيده بلا ثمن ، وأعتقه وأبقاه عنده حراً فى عداد مماليكه ، وكان كريم النفس بعيد الهمة شجاعاً كثير الإقدام ، ولذلك قيل له المجنون ، ولما مات الإخشيد انتقل إلى الفيوم فاعتل بها جسمه وأحوجته العلة إلى الانتقال إلى مصر ، فالتقى فيها بأبى الطيب المتنبى ووصله بالهدايا النفيسة وسمع مدائحه ، وتوفى سنة ٣٥٠ هـ . (٢) يشق : يصعب ، والسادات : جمع سادة ، جمع سيد .

الدرس السابع: الفصل والوصل

الْفَصْلُ والْوَصْلُ

(١) مَواضِع الْفَصْل

الأَمثلة :

(١) قال أَبو الطيب :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةِ قَصَائِدِى
إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا[١]

(٢) وقال أَبو العلاء :

النَّاسُ لِلنَّاس مِنْ بَدْوٍ وَحَاضِرَة
بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمُ[٢]

(٣) وقال تعالى :

«يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ» .

(٤) وقال أَبو العتاهية :

يَاصَاحِبَ الدُّنْيَا الْمُحِبَّ لها أَنْتَ الَّذِى لَايَنْقَضِى تَعَبُهْ

(٥) وقال آخر :

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْه كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِمَا لَدَيْهِ[٣]

---

(١) يقول : إن الدهر من جملة شعرى ، وذلك لأن ألسنة الناس جميعاً تتناقله فى كل وقت ، فكأن الدهر إنسان ينشد قصائدى ويرويها .

(٢) البدو : البادية ، والحاضرة : ضد البادية وهى المدن والقرى والريف ، يقال فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية ، ومعنى البيت أن الناس لا بد لهم من التعاون فلا يتهيأ لإنسان أن يستقل فى هذه الحياة بشئون نفسه .

(٣) الأصغران : القلب واللسان ، ورهن بما لديه : يجازى بما عمل .

(٦) وقال أبو تمام :

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصٍ عنْكَ لِي أَمَلًا
إِنَّ السَّمَاءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ[١]

البحث :

يقصِد علماء المعانى بكلمة « الوصْل » عطفَ جملة على أُخرى « بالواو »[٢] كقول الأَبيوَرْدى يخاطب الدهر :

العبْدُ رِيَّانُ مِنْ نُعْمى تجــودُ بهَا والحرُّ مُلْتَهِبُ الأَحْشاءِ من ظَمإِ[٣]

ويقصدون بالفصل ترك هذا العطف ، كقول المعرى :

لا تَطْلُبَنَّ بِآلةٍ لَكَ حاجةً قَلَمُ البليغ بغيْر حظٍّ مِغْزَلُ

هذا ولكل من الفصل والوصل مواطن تدعو إليها الحاجة ويقتضيها المقام ، وسنبدأُ لك بمواطن الفصل :

تأَمل أَمثلة الطائفة الأُولى تجد بين الجملة الأُولى والثانية فى كل مثال تآلفاً تامًّا ، فالجملة الثانية فى المثال الأَول ، وهى « إذا قُلتُ شِعْرًا أَصْبح الدَّهْرُ مُنشِدًا » لمْ تجئْ إلا توكيدًا للأُولى ، وهى جملة « وما الدهرُ إلا من رُواة قصائدِى » ، فإن معنى الجملتين واحد . والجملة الثانية فى المثال الثانى « بعضٌ لبعض وإن لم يشعرُوا خدمُ » ، ما جاءت إلا لإيضاح الأُولى « الناسُ للناس من بدْوٍ وحاضرة » ، فهى بيان لها ، والجملة الثانية فى المثال الثالث جزء من معنى الأُولى ؛ لأَن تفصيل الآيات بعض

---

(١) المراد بالحجاب احتجاب الممدوح عن قصاده ، ومقص : مبعد ، وتحتجب : تختفى تحت الغيوم .

(٢) إنما قصر علماء المعانى عنايتهم فى هذا الباب على البحث فى عطف الجمل « بالواو » دون بقية حروف العطف ؛ لأنها هى الأداة التى تخفى الحاجة إليها ، ويحتاج العطف بها إلى لطف فى الفهم ودقة فى الإدراك ، إذ أنها لا تدل إلا على مطلق الجمع والاشتراك ، أما غيرها من حروف العطف فتفيد معانى زائدة ، كالترتيب مع التعقيب فى الفاء ، والترتيب مع التراخى فى ثم ، وهلم جرًّا ، ومن أجل ذلك سهل إدراك مواطنها .

(٣) الريان : ضد الظمآن ، والنعمى : النعمة .

من تدبير الأُمور ، فهى بدلٌ منها . ولا شك أنك لَحَظْتَ أن الجملة الثانية مفصولة عن الأُولى فى كل مثال من الأَمثلة الثلاثة ، ولا سر لهذا الفصل سوى ما بينهما من تمام التآلف وكمال الاتحاد[1] . ولذا يقال إن بين الجملتين **كمال الاتصال** .

تأَمل مِثالَى الطائفة الثانية تجد الأَمر على العكس ، فإن بين الجملة الأُولى والثانية فى كل مثال منتهى التباين وغايةَ الابتعاد ، فإنهما فى المثال الرابع مختلفان خبرًا وإنشاءً . وهذا جلى واضح . أَما فى المثال الخامس فلأَنه لا مناسبة بينهما مطلقاً إذ لا رابطة فى المعنى بين قوله : «وإنما المرءُ بأَصغريه » وقوله : « كل امرئٍ رهْنٌ بما لديه » ، وهنا تجد الجملة الثانية فى كل من المثالين مفصولة عن الأُولى ، ولا سر لذلك إلا كمالُ التباين وشدةُ التباعد[2] ، ولذلك يقال فى هذا الموضع إن بين الجملتين **كمال الانقطاع** .

انظر إلى المثال الأَخير تر أَن الجملة الثانية فيه قوية الرابطة بالجملة الأُولى ؛ لأَنها جواب عن سوال نشأَ من الأُولى ، فكأَن أَبا تمام بعد أَن نطق بالشطر الأَول توهم أَن سائلًا سأَله ، كيف لا يحولُ حجاب الأَمير بينك وبين تحقيق آمالك ؟ فأَجاب : « إن السماءَ ترجَّى حين تحتَجب » فأَنت ترى أَن الجملة الثانية مفصولة عن الأُولى ، ولا سر لهذا الفصل إلا قوة الرابطة بين الجملتين ، فإن الجواب شديد الارتباط والاتصال بالسؤَال فأَشبهت الحالُ هنا من بعض الوجوه حال كمال الاتصال التى تقدمت ، ولذلك يقال إن بين الجملتين **شبه كمال الاتصال** .

---

(١) لأن الجملة الثانية هنا إما أن تكون بمعنى الأولى أو بمنزلة الجزء منها كما رأيت ، وهذا يقتضى ترك العطف لأن الشىء لا يعطف على نفسه ، والجزء لا يعطف على كله .

(٢) إنما وجب ترك العطف هنا لأن العطف يكون للجمع بين الشيئين والربط بينهما . ولا يكون ذلك فى المعنيين إذا كان بينهما غاية التباين .

القواعد :

(٦٢) الْوَصْلُ عَطْفُ جُمْلَةٍ عَلَى أُخْرَى بالواو ، والفَصْلُ تَرْكُ هذا العطف ، ولكلٍّ مِنَ الفَصْل والوَصْل مَوَاضِعُ خاصَّةٌ .

(٦٣) يَجبُ الْفَصْلُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْن فى ثَلاَثَةِ مَواضعَ :

(ا) أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا اتِّحَادٌ تَامٌّ ، وذلك بـأَنْ تَكونَ الْجمْلَةُ الثَّانيةُ تَوْكِيدًا لِلْأُولَى ، أَوْ بَيَاناً لها ، أَوْ بَدَلاً مِنْهَا ، وَيُقَالُ حِينَئِذ إِنَّ بَيْنَ الجمْلَتَيْن كَمَالَ الِاتِّصَال .

(ب) أَنْ يَكونَ بَيْنَهُمَا تَبَايُنٌ تَامٌّ ، وذلكَ بـأَنْ تَخْتلفَا خَبَرًا وَإِنشَاءً ، أَوْ بـأَلَّا تكونَ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ مَا ، وَيُقَالُ حِينَئِذ إِنَّ بَيْنَ الجمْلَتَيْن كَمَالَ الِانْقِطَاع .

(حـ) أَنْ تَكونَ الثَّانيةُ جَواباً عَنْ سُؤَالٍ يُفْهَمُ مِنَ الْأُولَى ، وَيُقَالُ حِينَئِذٍ إِنَّ بَيْنَ الجمْلَتَيْن شِبْهَ كَمَال الِاتِّصَال[1] .

---

(١) ذهب بعض المتأخرين من علماء المعانى إلى زيادة موضعين للفصل على المواضع التى ذكرناها ، ولكن هذين الموضعين عند التأمل يمكن ردهما إلى الموضع الثالث .

(٢) مواضِعُ الْوَصْل

الأَمثلة :

(١) قال أَبو العلاء المعرى :

وحُبُّ العَيْشِ أَعْبَدَ كُلّ حُرٍّ ... وَعَلَّمَ سَاغِباً أَكْلَ المُرَار(١)

(٢) وقال أَبو الطيب :

ولِلسِّرِّ مِنّى مَوْضعٌ لاَ يَنَالُهُ ... نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِى إِلَيْهِ شَرَاب(٢)

* * *

(٣) وقال :

يُشَمِّرُ لِلُّجِّ عَنْ سَاقِهِ ... وَيَغْمُرُهُ الْمَوْجُ فى السَّاحِلِ(٣)

(٤) وقال بشارُ بن بُرد :

وأَدْنِ إِلى الْقُرْبَى المُقَرّبَ نَفْسَهُ

ولَا تُشْهِد الشورَى امْرَأً غَيْرَ كاتِمِ(٤) .

(٥) لا وبارك اللهُ فِيك : (تجيب بذلك من قال : هل لك حاجة أُساعدك فى قضائها)

(٦) لا ولطَفَ اللهُ بِهِ : (تجيب بذلك من قال : هل أَبلَّ أَخوك من علته ؟)

---

(١) الساغب : الجائع ، والمرار : شجر مر ، يقول : إن حب الحياة يجعل الحر عبداً ويضطر الإنسان إلى احتمال الأذى .

(٢) النديم : الجليس على الشراب ، ويفضى : ينتهى ، يقول : إنه كتوم للسر يضعه حيث لا يطلع عليه النديم ولا يكشف عنه الشراب .

(٣) اللج : معظم الماء ، والبيت مثل يضرب لمن تحدثه أطماعه بإدراك المطالب العظيمة وهو يعجز عن اليسيرة .

(٤) يقول : قرب من يتقرب إليك بعقله وكماله ، ولا تستشر أمام من لا يكتم الأسرار .

البحث :

تـأمل الجملتين « أَعْبَدَ كُل حُرٍّ » و « علَّمَ ساغباً أَكْلَ المُرار » فى البيت الأول ، تجد أن للأُولى منهما موضعاً من الإعراب لأنها خبر للمبتدإ قبلها ، وأن القائل أراد إشراك الثانية لها فى هذا الحكم الإعرابى . وتـأمل الجملتين : « لا يناله نديم » و « لا يُفضِى إليه شَراب » فى البيت الثانى ، تجد أن للأُولى أيضاً موضعاً من الإعراب لأنها صفة للنكرة قبلها ، وأنه أُريد إشراك الثانية لها فى هذا الحكم ، وإذا تـأملت الجملة الثانية فى كل من البيتين وجدتها معطوفة على الجملة الأُولى موصولة بها . وكذلك يجب الوصل بين كل جملتين جاءتا على هذا النحو .

أُنظر فى البيت الثالث إلى الجملتين : «يُشمِّرُ للُّجِّ عن ساقه » و «يغمُرُه الموج فى الساحل » تجدهما متحدتين خبرًا متناسبتين فى المعنى[1] وليس هناك من سبب يقتضى الفصل ولذلك عطفت الثانية على الأُولى ، والمثال الرابع كذلك مكون من جملتين متحدتين إنشاءً هما : «أَدْنِ » و« لا تشهد » وهما متناسبتان فى المعنى وليس هناك من سبب يقتضى الفصل ولذلك عطفت الثانية على الأُولى ، وهكذا يجب الوصل بين كل جملتين اتحدتا خبرًا أو إنشاءً وتناسبتا فى المعنى ولم يكنَ هناك ما يقتضى الفصل بينهما .

انظر فى المثال الخامس إلى الجملتين : «لا » و «بارك الله فيك » تجد أن الأُولى خبرية[2] ، والثانية إنشائية[3]. وأنك لو فصلت فقلت : «لا بارك الله فيك » لتوهم السامع أنك تدعو عليه فى حين أنك تقصد الدعاء له ، ولذلك وجب العدول عن الفصل إلى الوصل . وكذلك الحال فى جملتى المثال الأخير ، وفى كل جملتين اختلفتا خبرًا وإنشاءً وكان ترك العطف بينهما يوهم خلاف المقصود .

---

(١) يراد بالتناسب أن يكون بين الجملتين رابطة تجمع بينهما كأن يكون المسند إليه فى الأولى له تعلق بالمسند فى الثانية ، وكأن يكون المسند فى الأولى مماثلا للمسند فى الثانية أو مضاداً له .

(٢) « لا » فى هذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية إذ التقدير « لا حاجة لى » وكذلك يقال فى المثال الثانى .

(٣) جملة « بارك الله فيك » خبرية لفظاً إنشائية معنى ، والعبرة بالمعنى .

القاعدة :

(٦٤) يَجبُ الْوَصْلُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْن فى ثَلاَثَة مَوَاضعَ :

(ا) إذَا قُصِدَ إشْرَاكُهُمَا فى الْحُكْم الإعْرابى .

(ب) إذَا اتَّفَقَتَا خَبَرًا أَوْ إنشاءً وكانَتْ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ تَامَّة ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ سَبَبٌ يَقْتَضى الْفَصلَ بَيْنَهُما .

(حـ) إذَا اخْتَلَفَا خَبَرًا وَإنشاءً وَأَوْهَمَ الْفَصْلُ خِلاَف الْمَقْصُودِ .

نموذج

لبيان مواضع الوصل والفصل فيما يأتى مع ذكر السبب فى كل مثال :

(١) قال تعالى :

« إن الَّذِين كَفَرُوا سَوَاءٌ عليْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لم تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُون » .

(٢) وقال الأحنف بن قيس : لا وفاء لكَذُوب ولا راحة لحسود .

(٣) وقال تعالى : « وأَوجَس مِنْهُمْ خِيفَةً[1] قالوا لَا تَخَفْ » .

(٤) وجاء فى الحِكَم : كَفى بالشَّيْبِ داءً . صلاحُ الإنسان فى حِفظِ اللسان.

(٥) وينسب للإمام على كرم الله وجهَه .

دعِ الإسراف مقتصدًا ، واذكر فى اليوم غدًا ، وأَمْسِك مِن المال بقَدْر ضَرُورتِكَ ، وقدِّم الفَضْل لِيوْم حاجتِك .

(٦) ولأَبى بكر رضى الله عنه :

أَيُّها الناسُ ، إنِّى وُلِّيتُ عليْكمْ ولَسْتُ بخيركم .

(٧) وقال أبو الطيب :

إن نُيوبَ الزمانِ تَعْرِفُنى أنا الذى طال عَجْمُهاعُودِى[2]

---

(١) أوجس منهم خيفة : أحس منهم خوفاً . (٢) عجم العود : عضه ليعرف أصلب هو أم رخو ، يقول : قد طالت صحبتى للزمان وقد جربنى وعرف صلابتى وصبرى على نوائبه .

(٨) لاوكُفيتَ شَرها. (تجيب بذلك من قال: أذهَبتِ الحُمّى عن المريض ؟)

(٩) قال تعالى : « أمدَّكم بما تعْلمُونَ ، أمدَّكم بأَنعام وبنين وجنَّاتٍ وعيُون ».

(١٠) وقال أبو العتاهية :

قدْ يُدْرِكُ الرَّاقدُ الهادِى برقْدتِهِ ... وقدْ يخيبُ أَخُو الرَّوحاتِ والدُّلَج[1]

(١١) وقال الغزِّىّ يشكو الناس :

يصُدُّونَ فى البأْساءِ منْ غَير عِلَّة ... ويمتثلُونَ الأَمْر والنَّهْىَ فى الخفْض[2]

(١٢) وقال أبو العلاء المعرى :

لا يُعْجبنَّكَ إقْبالٌ يُريكَ سناً ... إنَّ الخُمُودَ لعمْرى غايةُ الضَّرَم[3]

(١٣) يقولون إنى أَحْمِل الضيْم عِنْدهم ... أَعُوذُ بربِّى أَن يُضامَ نظيرى[4]

(١٤) وقال تعالى : « يسومُونكُم سُوءَ العذاب[5] يُذَبِّحُونَ أبناءَكم » .

(١٥) وقال تعالى : « وما ينطِقُ عن الْهَوى إن هُو إلَّا وحْىٌ يُوحَى » .

الإجابة

(١) فصل بين الجملتين ، جملة : سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ، وجملة لا يؤمنون ، لأَن بينهما كمال الاتصال ؛ إذ أن الثانية لا توكيد للأُولى .

(٢) وصل بين الجملتين لاتفاقهما خبرًا وتناسبهما فى المعنى . ولأَنه لا يوجد هناك ما يقتضى الفصل .

(٣) فصلت جملة « قالوا » عن جملة « وأَوجس منهم خيفة » لأَن بينهما شِبْه كمال الاتصال ، إذ الثانية جواب لسوال يفهم من الأُولى ، كأَنْ سائلًا سأَل : فماذا قالوا له حين رأَوه وقد داخله الخوف ؟ فأُجيب « قالوا لا تخف » .

---

(١) الروحات : جمع روحة اسم بمعنى الرواح وهو السير آخر النهار من راح يروح ضد غدا يغدو : والدلج : جمع دلجة من أدلج إذا سار من أول الليل : يقول قد يدرك القاعد مطالبه ويخيب المجد الساعى .

(٢) البأساء : الشدة ، والخفض : الدعة والنعيم .

(٣) السنا : ضوء البرق ، وخمود النار : سكون لهبها ، والضرم : اشتعال النار والتهابها .

(٤) الضيم : الذل .

(٥) يسومونكم سوء العذاب : يحملونكم إياه .

(٤) فصل بين الجملتين لأَن بينهما كمال الانقطاع ؛ إذ لا مناسبة فى المعنى بين الجملة الأُولى والجملة الثانية .

(٥) وصل بين الجمل الأَربع لاتفاقها إنشاءً مع وجود المناسبة ، ولأَنه لا يوجد هناكَ سببٌ يقتضى الفصل .

(٦) فصل بين الجملتين : « أَيها الناس » و « إنى وليت عليكم » لاختلافهما خبرا وإنشاءً فبينهما كمال الانقطاع ، ووصل بين الجملتين : « وليت عليكم » و « لست بخيركم » لأَنه أُريد إشراكهما فى الحكم الإعرابى إذ كلتاهما فى محل رفع ، وإذا كانت الواو للحال فلا وصل .

(٧) فصل بين شطرى البيت ؛ لأَن الثانى منهما جواب عن سؤال نشأَ من الأُولى ، فبينهما شبه كمال الاتصال .

(٨) وصل بين جملتى لا ، وكفيت ، لاختلافهما خبرًا وإنشاءً ، وفى الفَصْل إيهام خلاف المقصود ، فبينهما كمال الانقطاع مع الإيهام .

(٩) بين جملة « أَمدكم بما تَعْلمُون » وجملة « أَمدَّكم بأَنْعام وبَنِينَ وجنَّاتٍ وعُيُونٍ » كمال الاتصال ؛ فإن الثانية منهما بدل بعض من الأُولى ، إذ الأَنعام والبنون والجنات والعيون بعض ما يعلمون .

(١٠) ووصل أَبو العتاهية بين الجملتين لأَنهما اتفقتا فى الخبرية ، وبينهما مناسبة تامة ، وليس هناك ما يقتضى الفصل .

(١١) كذلك وصل الغَزِّى بين شطرى البيت لما تقدم .

(١٢) وفصل أَبو العلاء بين شطرى البيت لأَن بينهما كمال الانقطاع ؛ إذ الجملتان مختلفتان خبرًا وإنشاءً .

(١٣) بين جملة « يقولون إنى أَحمل الضيْمَ » وجملة « أَعوذ بربى أَن يضام نظيرى » شبه كمال الاتصال لأَن الثانية جواب عن سؤال نشأَ من الأُولى ، فكأَن الشاعر بعد أَن أَتى بالشطر الأَول من البيت أَحسَّ أَن سائلاً يقول له : « وهل ما يقولونه من أَنك تتحمل الضَّيم صحيح ؟ » فأَجاب بالشطر الثانى .

(١٤) بين جملة : «يسُومُونكم سُوءَ العذاب» وجملة : «يُذبِّحُونَ أبْناءَكم» كمال الاتصال فإن الثانية منهما بدل بعض من الأُولى .

(١٥) فصل الله تعالى بين الجملتين فى الآية الكريمة لأن بينهما كمال الاتصال فإن الجملة الثانية بيان للأُولى .

تمرينات

(١)

بيِّن مواضع الوصل والفصل فيما يأتى ووضّح السبب فى كل مثال :

(١) قال بعض الحكماء : العبْدُ حُرٌّ إذا قنِع ، والحر عبد إذا طمِع .

(٢) وقال ابن الرومى :

قدْ يسْبقُ الْخَيْرَ طالبٌ عجل ... ويَرْهَقُ الشر مُمْعِناً هَرَبُه[1]

(٣) وقال أبو الطيب :

الرأْىُ قَبْل شَجاعةِ الشُّجْعان ... هُو أوَّلٌ وهْىَ المحلُّ الثَّانى

(٤) وخطب الحجاج فقال :

اللهُم أرنى الغىَّ غَيًّا فأَجْتَنِبَهُ ، وأرنى الهُدى هُدًى فأَتَّبِعَهُ ، ولا تَكِلْنى إلى نَفْسى فأَضِلَّ ضلالاً بعِيدًا

(٥) وقال الشريف الرضىُّ فى الرثاء

أعلِمْتَ مَنْ حملُوا علَى الأَعْوادِ ... أعلِمْت كَيْف خَباضِياءُ النادِى[2]

(٦) قال حسان بن ثابت الأَنْصارى :

أَصُونُ عِرْضى بمالى لا أُدنِّسُهُ ... لا بارِكَ الله بعْد العِرْضِ فى الْمال[3]

أَحْتَال لِلْمال إنْ أَوْدى فأَكْسِبُهُ ... ولسْت لِلعْرض إن أودى بمُحْتَال[4]

---

(١) يرهقه : يغشاه ويلحقه ، والممعن فى الشىء : المبعد ، يقول : كثيراً ما يفوت الخير من هو شديد الحرص فى طلبه ، ويقع فى الشر من يهرب منه .

(٢) الأعواد : جمع عود والمراد بها النعش ، وخبا الضياء : انطفأ .

(٣) العرض بالكسر : النفس وقيل الحسب وهو ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه ، يقول : إنى أصون نفسى عما يدنسها ببذل ما أملكه من المال .

(٤) أودى : تلف ؛ يقول : إن المال إذا تلف استطعت العمل لكسبه ثانية ، أما العرض إذا تدنس فلا أستطيع تطهيره من الدنس الذى لحقه .

(٧) وقال النابغة الذبيانىُّ يرثى أخاه من أُمِّه :

حَسْب الْخَلِيلين نَأْىُ الأَرض بيْنَهُما هٰذا علَيها وهٰذا تَحتَها بالى[١]

(٨) وقال الطُّغْرائِىُّ :

ياوارِدًا سُؤْرَ عيش كلُّه كدرٌ أَنفَقْتَ عُمْرَكَ فى أَيَّامِك الأُول[٢]

(٩) لا الدمْعُ غَاضَ ولافؤادُكَ سالِى نزَل الحِمام عرينةَ الرِّئبال[٣]

(١٠) وقالت زينبُ بنتُ الطَّثَرِيَّة [٤] ترثى أخاها :

وقد كان يُرْوِى المشْرفِىَّ بكَفِّه ويبلغُ أَقصى حَجْرةِ الحىِّ نائِلُه[٥]

(١١) وقال أبو الطيب .

أَعزُّمكانٍ فى الدُّناسرْجُ سابحٍ وخيْرُ جليس فى الزمان كتاب [٦]

(١٢) العينُ عبْرى والنُّفُوسُ صوادِى ماتَ الحجا وقَضى جلالُ النَّادِى[٧]

(١٣) وقال رجل من بنى أسد فى الهجاء :

لَاتحسَبِ المجْدتَمْرًا أَنت آكِله لَنْتَبلغَ المجْدحتى تَلْعقَ الصَّبِرا[٨]

(١٤) وقال عُمارةُ اليمنىّ[٩] :

وغَدْرُ الفَتى فى عهْدِه ووفائِهِ وغدْرُ المواضى فى نُبُوِّالمضارب[١٠]

---

(١) حسب الخليلين : أى كفاهما ، والنأى : البعد ، والبالى : الممزق الأعضاء ، يقول : كفانى وأخى حيلولة الأرض بيننا ، فأنا حى فوقها وهو بالى الجسم تحتها ، وهذا نهاية البعد .

(٢) سؤر العيش : بقيته . (٣) الحمام : الموت ، والعرينة : مأوى الأسد ، والرئبال : الأسد . (٤) أبوها الصمة ، والطثرية أمها ، ويزيد أخوها ، وهى شاعرة مجيدة من شواعر الإسلام ، ولها فى أخيها يزيد مراث جيدة . (٥) المشرفى : السيف ، الحجرة : الناحية ، النائل : العطاء ؛ تقول : إنه كان عظيم البأس كثير الجود . (٦) الدنا : جمع دنيا ، السابح : الفرس السريع الجرى ، يقول : سرج الفرس أعز مكان ؛ لأن صاحبه يجاهد عليه فى طلب المعالى ، والكتاب خير جليس لأنه مأمون الأذى .

(٧) عبرى : باكية ، الصوادى : جمع صادية أى ظمأى ، الحجا : العقل ، قضى : مات .

(٨) الصبر بكسر الباء : عصارة شجر مر ، يقول : لا تظن أن طريق المجد سهل يسلكه أمثالك ، كلا ، إن دون المجد صعاباً لا يتغلب عليها إلا ذوو الهمم العالية .

(٩) مؤرخ ثقة وشاعر فقيه أديب ، قدم مصر سنة ٥٥٠ هـ فأحسن الفاطميون إليه فأقام عندهم ومدحهم ولم يزل موالياً لهم حتى دالت دولتهم ، ثم تآمر هو وسبعة من المصريين على مقاومة السلطان صلاح الدين ، فصلبه معهم سنة ٥٦٩ هـ وله ديوان شعر كبير .

(١٠) المواضى : السيوف القاطعة ، نبو المضارب : عدم قطعها .

(١٥) قال تعالى فى قصة فرعون وردِّ موسى عليه السلام :
«قالَ فرْعَوْنُ وما ربُّ العَالَمينَ . قال ربُّ السمٰواتِ والأَرضِ وَمَا بيْنَهُما إن كُنتُمْ مُؤْمنين . قال لِمنْ حوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ . قَال ربُّكمْ وَربُّ آبائِكم الأَولين » .
(١٦) وقال تعالى : « وإذا تُتْلَى علَيْهِ آياتُنَا ولَّى مُسْتكبرًا كأَنْ لم يسْمعْهَا كأَنَّ فى أُذُنَيْه وقْرًا »[1] .

(٢)

(١) لِم يعِيبُ الناس العطف فى الشطر الثانى من أَبى تمام ؟

لا والذِى هُو عالِمٌ أَنَّ النوَى صَبِرٌ وأَنَّ أَبا الحُسيْن كريمُ

(٢) لِم يحْسُنُ أَن نقول : علِىٌّ خطيبٌ وسعيد شاعر ، ويقبح أَن نقول : على مريض وسعيد عالِم ؟

(٣)

(١) هات ثلاثة أَمثلة للجمل المفصول بينها لكمال الاتصال ، واستوف المواضع الثلاثة التى يظهر فيها هذا الكمال .
(٢) هات مثالين للجمل المفصول بينها لشبه كمال الاتصال .
(٣) « « « « « لكمال الانقطاع .

(٤)

(١) مثل بمثالين لكل موضع من مواضع الوصل .

(٥)

انثُر البيتين الآتيين وبين سبب ما فيهما من فصل ووصل ، وهما لأَبى الطيب فى مدح سيف الدولة :

يا من يُقتِّلُ مَنْ أَراد بسيْفِهِ أَصْبحْتُ مِنْ قتْلاكَ بالإِحْسانِ
فإِذا رأَيْتُكَ حار دُونكَ ناظِرِى وإِذَا مدحْتُك حار فيكَ لِسانِى

(١) الوقر : الثقل فى السمع .

الدرس الثامن: الإيجاز والإطناب والمساواة

الإيجازُ والإطنابُ والمُساواة

(١) الْمُسَاوَاة

الأَمثلة :

(١) قال تعالى : « وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجدُوهُ عِنْدَ اللهِ » .

(٢) وقال تعالى : « وَلَا يَحيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إلَّا بِأَهْلِه[١] » .

(٣) وقال النابغة الذبيانىُّ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِى هُوَ مُدْرِكى
وإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِع[٢]

(٤) وقال طَرَفةُ بنُ العَبْد :

سَتُبْدِى لكَ الأَيامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً
وَيَأْتِيكَ بالأَخْبَار مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ[٣]

البحث :

يختارُ البليغُ للتعبير عما فى نفسه طريقاً من طرق ثلاث ؛ فهو تارة يُوجزُ ، وتارة يُسْهبُ ، وتارة يأْتى بالعبارة بَيْن بَيْن ، على حسب ما تقتضيه حالُ المخاطب ويدعو إليه موْطنُ الخطاب ، ونريد هنا أن نشرح هذه الطرق الثلاث ، وسنبدأ بالمساواة لأَنها الأَصل المقيسُ عليه .

---

(١) يحيق : من قولهم حاق به الشىء إذا أحاط به .

(٢) المنتأى : موضع البعد وهو اسم مكان من انتأى عنه أى بعد : يخاطب النابغة الذبيانى النعمان بن المنذر ويشبهه فى حال سخطه بالليل فى أنه يعم كل موطن ، وذلك لسعة ملك النعمان وبسطة نفوذه فلا يفلت منه أحد . (٣) من لم تزود : أى من لم تعطه زاداً ، والزاد : طعام المسافر ، يقول : إن عشت فستعلمك الأيام ما لم تكن تعلم ، ويأتيك بالأخبار من لم توجهه فى طلبها .

تأمل الأمثلة المتقدمة تجد الألفاظ فيها بقدر المعانى ، وأنك لو حاولت أن تزيد فيها لفظاً لجاءت الزيادة فضلًا ، أو أردتَ إسْقاط كلمة لكان ذلك إخلالًا ، فالألفاظ فى كلّ مثال مساوية للمعانى ، ولذلك يُسَمّى أداءُ الكلام على هذَا النحو **مساواة** .

القاعدة :

(٧٥) الْمُسَاوَاةُ أَنْ تَكونَ الْمعَانى بقَدْر الأَلْفَاظِ ، وَالأَلْفَاظُ بقَدْر الْمَعانى ، لَا يَزيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ .

(٢) الإِيجَازُ

(١) قال تعالى : « أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ » ..

(٢) وقال صَلَّى الله عليه وسَلَّم : « الضَّعِيفُ أَميرُ الرَّكْب »[١] .

(٣) وقيل لِأَعْرَابىٍّ يَسوق مالاً[٢] كثيرًا : لِمَنْ هَذا الْمالُ ؟ فقال : لله فِى يَدِى .

* * *

(٤) قال تعالى : « وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا » .

(٥) وقال تعالى : « قٓ وَالْقُرْآن الْمَجيدِ ، بَلْ عَجبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ » .

(٦) وقال تعالى : فى حكاية موسى عليه السلام مع ابْنَتَىْ شُعَيْب : « فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ

---

(١) الركب : جماعة المسافرين .

(٢) المال : كل ما ملكته ، ويطلق عند الأعراب على الإبل .

إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِير ، فَجَاءَتْه إِحْدَاهُمَا تَمشِى على اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيتَ لَنَا » .

البحث :

تأَمل أَمثلة الطائفة الأُولى تجد أَن أَلفاظها فى كل مثال على قِلَّتها جمعتْ معانى كثيرةً متزاحمة ، فالمثال الأَول تضَمَّن كلمتين اسْتَوْعبتا جميع الأَشياء والشئون على وجْهِ الاستقصاء . حتى لقد رُوىَ أَن ابن عُمَر رضى الله عنه قرأَها فقال : منْ بقى له شىءٌ فَلْيطلبه . والمثال الثانى آية فى البلاغة والحسن ، فقد جمع من آداب السفر والعطف على الضعيف ما لا يسهل على البليغ أَن يُعبِّر عنه إِلَّا بالقول المُسْهَب الطويل . وكذلك الحال فى المثال الثالث . وهذا الأُسلوب من الكلام يسمى **إيجازاً** . ولما كان مدار الإِيجاز هنا على اتساع الأَلفاظ القليلة للمعانى المتكاثرة والأَغراض المتزاحمة ، لا على حذف بعض كلمات أَو جمل ، سمّى **إيجاز قِصَر**

تأَمل أَمثلة الطائفة الثانية تجد أَنها مُوجَزَةٌ أَيضاً ، وإِذا أَردت أَن تَعْرف سِرَّ الإِيجاز فيها فانظر إِلى المثال الأَول تجد أَنه قد حُذف منه كلمة ، إِذ تقدير الكلام فيه وجاء أَمر ربك ، وانظر إِلى المثال الثانى تجد أَنه حُذف منه جملة هى جواب القسم ، إِذ تقدير الكلام «ق والقرآن المجيدِ » لَتُبْعثُنَّ . أَمَّا المثال الثالث فالمحذوف فيه جُمل عدة ، ونَظم الكلام من غير حذف أَن يقال : فَذَهبتَا إِلى أَبيهما ، وقصَّتا عليه ما كان من أَمر موسى ، فأَرسل إِليه ، «فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشى على اسْتِحْياء » .

ولما كان سبب الإِيجاز فى هذه الأَمثلة هو الحذف سُمى **إيجاز حذف** ويشترط فى هذا النوع من الإِيجاز أَن يقوم دليل على المحذوف ، وإِلا كان الحذف ريئاً والكلام غيرَ مقبول .

القاعدة :

(٦٦) الْإِيجَازُ جَمْعُ الْمَعَانِى الْمُتَكَاثِرَةِ تَحتَ اللَّفْظِ الْقَلِيل مَعَ الْإِبانةِ وَالْإِفْصَاح ، وَهُوَ نَوْعَان :

(ا) إِيجازُ قِصَرٍ ، وَيكونُ بتَضْمِين الْعِبارَاتِ الْقَصِيرَةِ مَعَانِىَ قَصِيرَةٍ مِنْ غَيْر حَذْف .

(ب) إِيجَازُ حَذْف ، ويَكونُ بحَذْفِ كلِمَةٍ[1] أَوْجُمْلَة أَوْ أَكْثرَ مَعَ قَرِينَةٍ تُعَيِّن الْمَحْذُوفَ .

نَمُوذَجٌ

لبيان نوع الإيجاز فى العبارات الآتية :

(١) قال تعالى : « أُولئكَ لَهُمُ الأَمْن » .

(٢) وقال تعالى : « تاللهِ تَفتأُ تَذْكُرُ يُوسُف » .

(٣) وقال تعالى : « أَخْرج مِنها ماءَها ومرْعاها » .

(٤) وقال تعالى : « فَأَمَّا الذينَ اسْودَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بعْد إِيمانِكم » .

(٥) وقال تعالى : « ولوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرت بهِ الجبالُ ، أَو قُطِّعتْ بهِ الأَرضُ ، أَو كُلِّم بهِ الموْتى ، بلْ لِلهِ الأَمْرُ جميعاً » .

(٦) وقال أَبو الطيب :

أَتى الزَّمانَ بنُوهُ فى شَبيبتِهِ فَسرَّهمْ وأَتيْناهُ على الهَرَمِ[2]

(٧) أَكلت فاكهة وماءً .

---

(١) الكلمة المحذوفة إما حرف ، وإما فعل ، وإما اسم ، والاسم المحذوف قد يكون مضافاً ، أو موصوفاً ، أو صفة .

(٢) يقول : إن بنى الزمان من الأمم السالفة جاءوا فى حداثة الدهر فسرهم ، ونحن أتيناه وقد هرم فلم يبق عنده ما يسرنا به .

الإجابة

(١) فى الآية إيجاز قِصَر ؛ لأن كلمة «الأمن» يدخل تحتها كلُّ أمر محبوب ، فقد انْتَفَى بها أن يخافوا فقرًا ، أو موتاً ، أو جوْرًا ، أو زوال نعمة ، أو غير ذلك من أصناف المكاره .

(٢) فى الآية إيجاز حذف ، لأن المعنى «تالله لا تفتأُ تذكر يوسف» فحذِف حرف النفى .

(٣) فى الآية إيجاز قصر ؛ فقد دل الله سبحانه بكلمتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للناس من العُشب والشجر والحطب واللِّباس والنار والماء .

(٤) فى الآية إيجاز حذف ، فقد حُذِف جوابُ أمَّا ، وأصل الكلام «فيقال لهم أكَفَرْتُمْ بعْد إيمانِكم» .

(٥) فى الآية إيجاز بحذف جواب لو ، إذ تقدير الكلام لكان هذا القرآن.

(٦) فى البيت إيجاز بحذف جملة : والتقدير وأتيناه على الهَرم فساءنا .

(٧) فى العبارة إيجاز بحذف جملة ، إذ التقدير وشَربْت ماءً .

تمرينات

(١)

بين نوع الإيجاز فيما يأْتى ووضح السبب :

(١) قال تعالى : « وما كانَ معهُ مِنْ إلٰهٍ ، إذًا لذَهب كُلُّ إلٰهٍ بِما خلَق ولَعَلَا بعْضُهُمْ على بعض » .

(٢) وقال تعالى : « خُذِ العفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأعْرض عن الْجاهِلينَ »[1] .

(٣) وقال عليه الصلاة والسلام . « إن من البيان لَسِحْرًا » .

(٤) وقال تعالى فى وصف الجنة : « فيها ما تَشْتَهيهِ الأَنْفُسُ وتلَذُّ الْأَعْيُنُ ».

---

(١) خذ العفو : أى خذ الميسور من أخلاق الرجال ولا تستقص عليهم .

(٥) وقال تعالى : « ولَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ »[١] .

(٦) وقال تعالى : « وإِنْ يُكذِّبُوك فقدْ كُذِّبتْ رُسُلٌ مِنْ قبْلِك » .

(٧) وقال صلى الله عليه وسلم : « الطَّمعُ فقر واليأْس غِنًى » .

(٨) وقال على كرم الله وجهه : « آلة الرياسة سعةُ الصدرِ » .

(٩) ويُنْسبُ للسَّموْءَل :

وإِنْ هُو لَمْ يحْمِلْ علَى النَّفْس ضَيْمها فلَيْسَ إلى حُسْن الثنَاءِ سبيلُ[٢]

(١٠) وقال تعالى فى وصف انتهاء حادثة الطوفان :

« وقِيلَ يا أَرْضُ ابْلعى ماءَك ، ويا سماءُ أَقْلِعى وغِيضَ الْماءُ ، وقُضِيَ الأَمْرُ ، واسْتَوتْ على الْجودِىِّ ، وقيل بُعْدًا لِلْقوْمِ الظَّالِمِين »[٣] .

(٢)

بيِّن جمال الإيجاز فيما يأْتى واذكر من أَى نوع هو :

(١) كتب طاهرُ بن الحسين إلى المأْمون وكان واليَهُ على عُمَّاله بعد هزْمه عسْكَرَ على بن عيسى بن ماهان[٤] وقتْله إياه :

كتابى إلى أَمير المومنين ، ورأْس على بن عيسى بن ماهان بين يدَى ، وخَاتمُهُ فى يدِى ، وعسْكَرُهُ مُصرَّفٌ تحت أَمرى والسلام .

(٢) وخطب زيادٌ[٥] فقال :

أَيها الناسُ لا يمْنعنَّكُم سوءُ ما تعلمون عنَّا أَن تَنْتَفِعُوا بأَحْسنِ ما تسمعون مِنَّا .

---

(١) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم . يقول له : لو ترى حال الكفار عند الموت لرأيتها مزعجة . ومعنى قوله فلا فوت : فلا مهرب لهم من العذاب . (٢) يقول : إذا كان المرء لا يصبر النفس على مكارهها لم يكن هناك سبيل إلى اكتسابه الحمد . (٣) أقلعى : كفى عن المطر ، وغيض الماء : نضب ، والجودى : جبل بأرض الجزيرة استوت عليه سفنية نوح عليه السلام عند انتهاء الطوفان . (٤) على بن عيسى بن ماهان من كبار القادة فى عصر الرشيد والأمين ، وهو الذى حرض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد ، وسيره الأمين لقتال المأمون بجيش كبير فقتله طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون سنة ١٩٥ هـ . (٥) أمير خطيب مصقع ، وهو من القادة الفاتحين ، والولاة الدهاة ، أسلم فى عهد أبى بكر رضى الله عنه ، ثم ألحقه معاوية بنسبه فكان عضده الأقوى ، وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق ، وتوفى سنة ٥٣ هـ .

(٣)

بين ما فى التوقيعات[١] الآتية من جمال الإيجاز :

(١)وقَّع أبو جعفر المنصورُ فى شكوى قوم من عاملهم :
كما تكونوا يُؤَمَّرْ عليكم [٢] .

(٢)وكتب إليه صاحبُ مِصْر بنُقْصان النيل فوقَّع :
طَهِّرْ عسكرك من الفساد يعْطِكَ النيلُ القياد[٣] .

(٣)ووقع على كتاب لعامله على حِمص وقد كثُر فيه الخطأ :
اسْتبْدِل بكاتبك ، وإلا اسْتُبْدِل بك[٤] .

(٤)وكتب إليه صاحب الهند أنَّ جُنْدًا شغبوا عليه [٥] وكَسرُوا أَقْفال بيت المال ، فَوقَّع : لو عدلْت لَمْ يشْغبُوا ، ولو وفَيْت لَمْ ينْتهِبُوا[٦] .

(٥)ووقَّع هرون الرشيد إلى صاحب خُراسان : داوِ جُرْحك لا يتسع .

(٦)ووقَّع فى قصة البرامكة : أَنْبَتَتْهُم الطاعة ، وحصدتْهُم المعصية .

(٧)وكتب إبراهيم بن المهْدِى فى كلام للمأْمون : إن عفوت فبفضلك ، وإن أَخذْتَ فبحقك . فوقَّع المأْمون : القُدْرة تُذْهِبُ الحفيظَة [٧] .

(٨)ووقَّع زِياد بنُ أَبيه فى قصة مُتظلم : كُفِيت .

(٩)ووقَّع جعفر بن يحيى[٨] لعامل كَثُرَتِ الشكوى منه :
كثُر شاكوك ، وقلَّ شاكرُوك ، فإمَّا عدلْت ، وإمَّا اعْتَزَلْت .

(١٠)ووقع فى قصة محبوس : الْعدْلُ أوقعه ، والتوبة تُطلِقه .

---

(١) التوقيع : رأى الحاكم يكتبه على ما يعرض عليه من شئون الدولة .

(٢) أمره عليهم : جعله أميراً . (٣) القياد : حبل يقاد به . (٤) أى اتخذ مكان كاتبك كاتباً آخر . وإلا أقيم مكانك عامل آخر . (٥) الشغب : تهييج الشر .

(٦) الانتهاب : النهب والأخذ . (٧) الحفيظة : الحمية والغضب .

(٨) هو أحد مشهورى البرامكة ومقدميهم ، ولد فى بغداد ونشأ بها ، ثم استوزره هرون الرشيد وألقى إليه مقاليد الدولة . فانقادت له الأمور ، وما زال كذلك حتى غضب الرشيد على البرامكة فقتله فى جملتهم سنة ١٧٨ هـ وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغة القول وكرم اليد والنفس .

(٤)

اقرأ الحكاية الآتية وبين وجه الإيجاز ونوعه فيما يعرض فيها من أمثال :

كان لرجل من الأعراب اسمه ضَبَّةُ ابنان . يقال لأحدهما سعْد وللآخر سُعيْد ، فنَفَرتْ إبل لضبة فتفرق ابناه فى طلبها ، فوجدها سعد فردها ، ومضى سُعيْد فى طلبها ، فلقيه الحارث بن كعْب ، وكان على الغلام بُرْدان ؛ فسأله الحارث إياهما فأبى عليه فقتله وأخذ برديه ؛ فكان ضبَّة إذا أمسى ورأى تحت الليل سوادًا قال : أسعد أم سُعيْد ؟ فذهب قوله مثلًا يُضرب فى النجاح والخيبة ، ثم مكث ضبة بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم إنه حج فوافى عُكاظَ فلقى بها الحارث بن كعب ، ورأى عليه بُرْدىِ ابنه سُعيْد ، فعرفهما ، فقال له : هل أنت مخبرى ما هذان البردان اللذان عليك ؟ قال لقيت غلاماً وهما عليه فسألته إياهما فأبى علىّ فقتلته وأخذتهما ، فقال ضبة : بسيفك هذا ؟ قال : نعم ، قال : أرنيه فإنى أظنه صارماً ؛ فأعطاه الحارث سيفه ، فلما أخذه هزَّه وقال : الحديثُ ذو شُجُون[1] ثم ضربه به فقتله ، فقيل له يا ضَبة : أفى الشهر الحرام ؟ فقال : سبق السيفُ العذل[2] . فهو أوَّل من سارت عنه هذه الأمثال الثلاثة .

(٥)

(١) هاتِ ثلاثة أمثلة لإيجاز القِصَر وبين وجه الإيجاز فى كل منها .

(٢) هاتِ ثلاثة أمثلة لإيجاز الحذف . بحيث يكون المحذوف فى المثال الأول كلمة وفى الثانى جملة ، وفى الثالث أكثر من جملة ، وبين المحذوف فى كل مثال .

(٦)

بيِّن ما فى قول أبى تمام فى المديح من بلاغة وإيجاز :

ولوْ صوَّرْتَ نَفْسك لم تَزِدْهـا ... علَى ما فيكَ من كَرَم الطباعِ

---

(١) أى ذو طرق ، الواحد شجن ، يضرب هذا المثل فى الحديث يتذكر به غيره .

(٢) العذل : الملامة .

(٣) الإطناب

البحث :

(١) قال تعالى : « تَنَزَّلُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا »[١] .

* * *

(٢) وقال تعالى: « رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ » .

(٣) وقال : « وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ » .

* * *

(٤) وقال عنترة بن شداد فى بعض روايات معلقته :

يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَالرِّماحُ كأَنَّها أَشْطَانُ بِئْرٍ فى لَبَانِ ٱلْأَدْهَمِ[٢]

يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَالسُّيُوفُ كأَنَّها لَمْعُ الْبَوَارِقِ فى سَحَابٍ مُظْلِمِ

* * *

(٥) وقال النابغة الْجَعْدِى[٣] :

أَلا زَعَمَتْ بَنُو سَعْدٍ بِأَنِّى ـ أَلَا كَذَبُوا ـ كَبِيرُ السِّنّ فانِى

* * *

---

(١) الروح : جبريل عليه السلام .

(٢) أشطان البئر : حباله ، ولبان الأدهم : صدر الفرس .

(٣) هو حسان بن قيس الجعدى ، شاعر قديم معمر أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم وحسن إسلامه وأنشد النبى صلى الله عليه وسلم فأعجب به وقال له : لا يفضض الله فاك .

(٦) وقال الحُطَيئة :

تَزُورُ فَتًى يُعْطِى على الْحَمْدِ مَالَه
وَمَنْ يُعْطِ أَثْمان الْمَحَامِدِ يُحْمَدِ

(٧) وقال ابنُ نُباتة السَّعدىّ :

لَمْ يُبْقِ جُودُك لِى شَيْئًا أُؤَمِّلُهُ
تَرَكْتَنى أَصْحَبُ الدُّنْيَا بلا أَمَل

* * *

(٨) وقال ابن المعتز يصف فرساً :

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سِيَاطَنَا فَطَارَتْ بها أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُل

البحث :

عرفتَ فيما سبق معنى الإيجاز ؛ ونريد هنا أن نشرح لك نوعاً آخر من الأَساليب يقابله ويُضادُّه فتزيد فيه الأَلفاظ على المعانى لغرض بلاغىّ .

تأَمل المثال الأَول تجد لفظ « الروح » فيه زائدًا ، لأَن معناه داخل فى عموم اللفظ المذكور قبله وهو الملائكة ، وانظر فى المثال الثانى تجد أَن لفظ « لى ولوالدىّ » زائد أَيضاً ، لدخول معناه فى عموم المؤمنين والمؤمنات ، وكذلك يشتمل كل مثال من الأَمثلة الباقية على زيادة لفظية ستعرفها فيما يأْتى ، وسترى أَيضاً أَنَّ هذه الزيادة لم تجئ عبثاً ، وإنما جاءت لِلطيفة من اللطائف البلاغيَّة التى تزيد قيمة الكلام وترفع من معانيه ، وأَداءُ الكلام على هذا الوجه يُسمَّى **إطناباً** .

ارجع إلى الأَمثلة وابحث فيها واحدًا واحدًا تجد طرق الإطناب فيها

مختلفة : فطريقه فى المثال الأول **ذكر الخاص بعد العام** ، فقد خَصَّ الله سبحانه وتعالى الروح بالذِّكر وهو جبريل مع أنه داخل فى عموم الملائكة تكريماً له وتعظيماً لشأنه كأنه جنس آخر ، ففائدة الزيادة هنا التنويه بشأن الخاص.

وطريقه فى المثال الثانى **ذكر العام بعد الخاص** ، فقد ذكر الله سبحانه المؤمنين والمؤمنات وهما لفظان عامان يدخل فى عمومهما من ذُكِر قبل ذلك ، والغرض من هذه الزيادة إفادة الشمول مع العناية بالخاص لذكره مرتين ، مرة وحده ، ومرة مندرجاً تحت العام .

وطريقه فى المثال الثالث **الإيضاح بعد الإبهام** فإن قوله تعالى : «أن دابِرَ هؤُلاءِ مقْطُوعٌ مُصْبحِين » إيضاح للإبهام الذى تضمنه لفظ « الأمر » وذلك لزيادة تقرير المعنى فى ذهن السامع بذكره مرتين ، مرة على طريق الإجمال والإبهام ، ومرة على طريق الإيضاح والتفصيل .

وطريقه فى بيتى عنترة **التكرار** لتقرير المعنى فى نفس السامع وتثبيته ، ويظهر هذا الغرض فى الخطابة ، وفى موطن الفخر والمدح والإرشاد والإنذار، وقد يكون التكرار لدواع أُخرى ، منها التحسر كما فى قول الحسين بن مطير [1] يرثى معْن بن زائدة :

فيا قَبْرَ معْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرةٍ ... مِنَ الأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّماحَةِ موْضِعا [2]

ويا قبرَ معن كَيْف واريْتَ جُودهُ ... وقَدْ كانَ مِنْهُ البَرُّ والبحرُ مترعا

ومنها طول الفصل كما فى قول الشاعر :

لقدْ عِلِم الحىُّ اليمانون أَننى ... إذا قلْتُ أَمَّا بعْدُ أَنِّى خَطِيبُهَا [3]

---

(١) شاعر عاش فى الدولتين الأموية والعباسية ، وله مدائح فى رجالها ، وكان من أحسن أهل البادية زياً وكلاماً ، توفى سنة ١٦٩ هـ بعد معن زائدة وله رثاء فيه .

(٢) خطت للسماحة موضعاً : أى اتخذت لتكون موضعاً للكرم والجود .

(٣) اليمانون : المنسوبون إلى اليمن .

وطريقه فى المثال الخامس **الاعتراض** ، وهو أن يوتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين فى المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لغَرض يقصِدُ إليه البليغ ، فجملة «ألا كذبوا» قد جاءت فى بيت النابغة بين اسم إن وخبرها للإسراع إلى التنبيه على كذب من رماه بالكِبَر ، وقد يكون من أغراض الاعتراض الإسراع إلى التنزيه ، نحو : إن الله ـ تبارك وتعالى ـ لطيف بعباده ، وقد يكون للدعاء نحو إنى ـ وقاك الله ـ مريض .

وطريقه فى المثالين السادس والسابع **التذييل** ، وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيدًا لها ، فإن المعنى فى كلا البيتين قد تمَّ فى الشطر الأول ، ثم ذُيِّل بالشطر الثانى للتوكيد . وإذا تأملت التذييل فى المثالين وجدتَ بينهما بعض الخلاف . وذلك أن التذييل فى المثال الأول مستقلٌّ بمعناه لا يتوقف فهمه على فهم ما قبله ، ويقال له إنه **جار مجرى المثل** ، أما فى المثال الثانى فهو غير مستقل بمعناه إذ لا يفهم الغرضُ منه إلا بمعونة ما قبله ، ويقال لهذا النوع إنه **غير جار مجرى المثل** .

تأمل المثل الأخير تجد أننا لو أسقطنا منه كلمة «ظالمين» لتوهَّم السامع أن فرس ابن المعتز كانت بليدة تستحق الضرب ، وهذا خلاف المقصود ، وتسمَّى هذه الزيادة فى البيت **احتراساً** ، وكذلك كل زيادة تجىءُ لدفع ما يُوهِمُهُ الكلام مما ليس مقصودًا .

القَاعدة :

(٦٧) الإِطْنابُ زيادَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى لِفائِدَةٍ [1] ، وَيكُونُ بأُمُورٍ عِدة مِنْها :

---

(١) فإذا لم تكن فى الزيادة فائدة سميت « تطويلا » إن كانت الزيادة غير متعينة ، « وحشواً » إن كانت متعينة ، فالتطويل كما فى قول عنترة بن شداد :

حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

والحشو كما فى قول زهير بن أبى سلمى :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم ما فى غد عمى

(ا) ذِكْرُ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعامِّ لِلتَّنْبيهِ عَلَى فَضْلِ الْخَاصِّ .

(ب) ذِكْرُ العَامِّ بَعدَ الْخَاصِّ لإفادَةِ العُمُومِ مَعَ الْعِنايةِ بشَأْن الخاصِّ .

(حـ) الإيضاحُ بَعْدَ الإبهامِ ، لِتَقْريرِ الْمَعْنى فى ذِهْنِ السَّامِعِ .

(د) التِّكْرَارُ لِدَاعٍ : كتَمْكِينِ الْمَعْنَى من النفس ، وكالتَّحَسُّر ، وكَطُولِ الْفَصْل .

(هـ) الاعْتِرَاضُ ، وهُو أَنْ يُؤْتَى فى أَثْناءِ الكلامِ أَوْ بَيْنَ كلاميْنِ مُتَّصِلَيْن فى الْمَعْنى بجُمْلَةٍ أَوْ أَكْثر لا مَحَلَّ لها منَ الإعْراب[1] .

(و) التَّذْييلُ ، وهُوَ تَعقيبُ الْجُمْلَةِ بجمْلَةٍ أُخْرَى تَشْتَمِلُ على مَعْنَاهَا تَوْكيدًا لها ، وهُوَ قِسْمان :

(١) جَارٍ مَجْرَى الْمَثَلِ إنِ اسْتَقَلَّ مَعْناهُ واسْتَغْنَى عَمَّا قَبْلَهُ .

(٢) غَيْرُ جَارٍ مَجْرَى الْمَثَل إنْ لَمْ يَسْتَغن عَمّا قَبْلَهُ .

(ز) الاِحتراسُ ، وَيَكُونُ حِينَما يَأْتى المتكلِّمُ بمَعْنى يُمْكِنُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ فيه لَوْمٌ ، فَيَفْطِنُ لذلكَ ويأْتى بما يُخَلِّصُهُ منْهُ .

نَمُوذَجٌ

بين نوع الإطناب فيما يأْتى :

(١) قال تعالى : « أَفأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَن يأْتيَهُمْ بأْسُنا بياتاً وهُمْ نَائِمُون ،

---

(١) ويجب أن يكون للبليغ فى الاعتراض غرض يرمى إليه غير دفع الإيهام ، فإن كان الغرض دفع الإيهام كان احتراساً .

أَوَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يأْتِيهُمْ بأْسُنَا ضُحًى وهُمْ يلْعبُون ، أَفأَمِنُوا مكْرَ الله فَلَا يأْمنُ مكْرَ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الخَاسِرُون » .

(٢) وقال تعالى : « وما جعلْنا لِبشَر مِنْ قَبْلِك الخُلْد أَفإِن مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُون ، كلُّ نَفسٍ ذَائِقةُ الْموْتِ » .

(٣) وقال أبو الطيب :

إِنِّى أُصاحِبُ حِلمى وهْوَ بى كَرمٌ ولَا أُصاحِبُ حِلمى وهْو بى جُبن

(٤) وقال النابغة الجعْدِىُّ يهجو :

لَوَ أَنَّ الباخِلين وأَنْتَ مِنْهُمْ رأَوْك تَعلَّموا مِنْك المِطالَا

(٥) وقالت أعرابية لرجل : كَبتَ اللهُ كُل عدُو لَك إِلَّا نَفْسَك .

(٦) وقال تعالى : « أَمدَّكُمْ بما تَعْلَمُونَ أَمدَّكُمْ بأَنْعام وبنين » .

الإجابة

(١) فى الآية إطناب بالتكرار فى معْرض الإنذار لتقرير المعنى فى نفوس السامعين.

(٢) فى الآية إطناب بالتذييل فى موضعين : أولهما قوله تعالى : « أفإن متّ فهم الخالدون » ، وهذا تذييل لم يجر مجرى المثل ، والثانى قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » وهو جار مَجْرَى المثل .

(٣) فى البيت إطناب بالاحتراس فى موضعين : أولهما فى الشطر الأول بذكر وهو بى كرم ، وثانيهما فى الشطر الثانى بذكر وهو بى جُبن .

(٤) فى البيت إطناب بالاعتراض . فقد جاءت جملة : « وأنت منهم » معترضة بين اسم إن وخبرها للإسراع إلى ذم المخاطَب .

(٥) هنا إطناب بالاحتراس ، لأَن نفس الإنسان تجرى مجْرى العدوِّ له ، فإنها تدعوه إلى ما يُوبِقهُ .

(٦) فى الآية إطناب بالإيضاح بعد الإبهام فإن ذكر الأَنْعامِ والبنين توضيحٌ لما أُبْهم قبل ذلك فى قوله : « بما تعلمون » .

تمرينات

(١)

وضح الغرض من التكرار فى كل مثل من الأمثلة الآتية :

(١) قال بعض شعراء الحماسة :

إلَى معْدِن العِزِّ المُؤَثَّل والنَّدى هُناك هناك الْفضْلُ والخُلُقُ الجزْل[١]

(٢) وقالَتْ أَعْرابيَّةٌ تَرْثِى ولَدَيْها :

يا منْ أَحسَّ بُنَيَّىَّ اللذين هُمـا كالدُّرَّتَيْن تَشظَّى عنْهُما الصَّدف[٢]

يا منْ أَحسَّ بُنَيَّىَّ اللذين هُما سمْعى وطَرْفِى فَطَرْ فِى اليوم مُخْتَطَفُ[٣]

(٣) وقال عمرُو بن كلثوم[٤] فى معلقته :

بأَىِّ مشِيئةِ عمْرو بْن هِنْد[٥] نكونُ لِقَيْلِكمْ فِيها قِطِينَا[٦]

بأَىِّ مشيئة عمْرو بن هند تُطيعُ بنا الوُشاةَ وتَزْدرينا[٧]

(٤) قال تعالى : « فإنَّ مع العُسْر يُسْرًا ، إنَّ مع العُسْر يُسْرًا » .

(٢)

بيِّن مواطن الاعتراض وفائدتَه فى الأمثلة الآتية :

(١) قال العباس بن الأحنف :

إنْ تم ذَا الهجْرُ يا ظَلُومُ ولا تم فما لِى فى العيْشِ مِنْ أَرَبِ[٨]

---

(١) معدن العز : موطنه ومركزه ، والمؤثل : المؤصل والمعظم ، والخلق الجزل : الطبع القوى الكريم . (٢) تشظى الصدف : تطاير شظايا ، والشظايا جمع شظية : وهى الفلقة من العصا ونحوها . (٣) الطرف : البصر . (٤) شاعر جاهلى وهو من فحول الشعراء فى الجاهلية ومن فرسانهم وأشرافهم ، وهو صاحب المعلقة التى أولها « ألا هبى بصحنك فاصبحينا » .

(٥) هو ملك الحيرة وكان جباراً عنيداً لا يرى فى الناس من يدانيه فى الشرف والمنزلة ، وقد أراد أن يستذل عمرو بن كلثوم باتخاذ أمه وصيفة لأمه ، فثارت الحمية فى قلب عمرو بن كلثوم فجرد سيفاً وضرب الملك فقتله . (٦) القيل : الملك دون الملك الأعظم وجمعه أقيال ، والقطين : الخدم ، يقول : كيف تطمع أن نكون خدماً لمن وليت علينا من الأمراء على ما تعلم من عزنا .

(٧) يقول : كيف تطيع الوشاة فينا وتحتقرنا على ما تعلم من قلة صبرنا على احتمال الضيم .

(٨) ظلوم : اسم امرأة .

(٢) وقال أبو الفتح البُسْتىّ[١] :

إذا حَمِدَ الكريمُ صباحَ يوْمٍ وأنّى ذَاكَ لَمْ يحْمَدْ مساءَهْ[٢]

(٣) وقال أبو خراش الهُذَلىُّ[٣] يذكر أخاه عُرْوة :

تَقُولُ أَراهُ بعْدَ عُرْوةَ لَاهِياً وذَلِكَ رُزْءٌ لَو علِمْتَ جلِيلُ
فلَا تَحْسَبِى أَنِّى تَنَاسيْتُ عهْدَهُ ولَكنَّ صَبْرِى يا أُمَيْمُ جميلُ[٤]
(٤) واعْلَم فعِلْمُ الْمرْءِ ينفَعُهُ أَنْ سوْف يأْتِى كلُّ ما قُدِرا[٥]

(٣)

بيِّن مواطن التذييل ونوعه فى كل مثال من الأمثلة الآتية :

(١) قال أبو تمام يُعزى الخليفة فى ابنه :

تَعزَّ أَميرَ المومنـــين فإنَّهُ لِما قَدْ ترى يُغْذى الصبىُّ ويُولَدُ[٦]
هَل ابْنُكَ إلَّا من سُلَالَةِ آدمٍ لِكلٍّ علَى حوْضِ المنِيَّةِ موْرِدُ

(٢) وقال إبراهيم بن المهدى فى رثاء ابنه :

تَبدَّلَ دارًا غَيْرَ دارى وجيرةً سِوايَ وأَحْداثُ الزَّمان تَنُوب
(٣) فإن أَكُ مقْتُولًا فكُنْ أَنْتَ قاتِلِى فبعْضُ منَايا القَوْمِ أَكْرمُ مِنْ بعْض
(٤) قال تعالى : « ذٰلِكَ جزيْناهُمْ بما كفَرُوا وهلْ نجازِى إلا الكَفُور » .

---

(١) شاعر عصره وكاتبه ، نسب إلى بوست (قرب سجستان) وقد ولى كتابة ديوانها ، ثم انتقل إلى بخارى فمات فيها سنة ٤٠٠ هـ ، وله ديوان شعر .

(٢) يقول : إن الدهر قلب لا يدوم على حال ، فإذا سر إنساناً فى صباح يومه أساء إليه فى مسائه ، ومن سره زمن ساءته أزمان .

(٣) هو خويلد بن مرة أحد بنى هذيل ، وهو من فرسان العرب وفتاكهم ، شاعر مخضرم ، أسلم وهو شيخ كبير يوم حنين ، وكان عداء ، وخراش ابنه ، وعروة أخوه .

(٤) الصبر الجميل : هو الذى لا شكوى فيه .

(٥) أن فى البيت مخففة من الثقيلة ، وضمير الشأن محذوف ، يقول : إن المقدور آت لا محالة وإن تأخر ، وفى هذا تسلية وتسهيل للأمر .

(٦) تعز : تصبر ، يقول : تصبر يا أمير المؤمنين ، فإن الموت سبيل كل حى ، والصبى لا يولد ولا يغذى إلا استعداداً للموت .

(٤)

بين مواطن الاحتراس وسبب الإتيان به فى الأمثلة الآتية :

(١) قال أبو الحسين الجزار[١] فى المديح :

ويَهْتَزُّ لِلْجدْوَى إذَا ما مدَحْتُه كما اهتَزَّ حاشَا وصْفَه شاربُ الخمر

(٢) وقال آخر :

وما بى إلى ماءٍ سِوى النِّيلِ غُلَّةٌ ولوْ أَنهُ أَسْتَغْفِرُ الله زَمْزَمُ

(٣) وقال عنْترة :

يُخبرْكِ منْ شهد الوقيعةَ أَنَّنى أَغْشَى الْوغَى وأَعِفُّ عِنْد المغْنَم[٢]

(٤) وقال كعْب بن سعيد الْغَنَوى :

حلِيمٌ إذَا ما الحلْمُ زَيَّن أَهلَهُ مع الحِلْم فِى عيْن الرِّجال مهيبُ[٣]

(٥)

بيِّن مواقع الإطناب والغرض منه فيما يأْتى :

(١) قال تعالى : « إنَّ اللهَ يأْمُرُ بالعدْل والإحْسان وإيتاءِ ذِى القُرْبى وينْهَى عن الفحْشَاءِ والمُنْكَر والبغْى » .

(٢) وقال أيضاً : « حافِظُوا علَى الصَّلَواتِ والصَّلاةِ الْوُسْطى » .

(٣) وقال الشاعر :

والسَّعْى فِى الرِّزْق والأَرْزَاقُ قَدْقُسِمتْ بغْىٌ أَلا إنَّ بغْىَ المرْءِ يصْرعُهُ

(٤) وقال تعالى : « وما أَدْراكَ ما يوْمُ الدِّين ثُم ما أَدْراكَ ما يومُ الدِّين » .

---

(١) شاعر مصرى رقيق ، تظهر فى شعره خفة الروح المصرية ، ولد سنة ٦٠١ هـ ومات سنة ٦٧٢ هـ .

(٢) الوقيعة : القتال ، والوغى فى الأصل : صوت المقاتلة فى الحرب ثم استعمل فى الحرب نفسها ، يقول : إنه يغشى الحرب شجاعة ، فإذا كانت الغنيمة كف عفة ؛ لأنه لا يقاتل لأجلها .

(٣) يقول : هو حليم فى المواطن التى يحمد فيها الحلم ، وهو مع حلمه مهيب فى أعين الرجال .

(٥) وقال تعالى : « وقَال الَّذِى آمنَ يا قَوْمِ اتَّبعونِ أَهْدِكُمْ سبيلَ الرشادِ ، يا قَومِ إنَّما هذِهِ الحياةُ الدُّنْيا متَاعٌ . وإنَّ الاخِرةَ هى دارُ الْقَرار » .

(٦) وقال تعالى : « اسلُك يدكَ فِى جيْبكَ تَخْرُجْ بيْضَاءَ مِنْ غَيْر سوءٍ » .

(٧) وقال الحماسى :

أَسِجْناً وقَيْدًا واشْتياقاً وغُرْبةً ونَأْىَ حبيبٍ ؟ إنَّ ذَا لَعَظِيمُ
وإنَّ امْرأً دامتْ مواثِيقُ عهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هــذَا إنَّه لكَرِيمُ

(٨) وقال تعالى :

« فَوسْوَسَ إليه الشَّيطانُ قَال يا آدمُ هلْ أَدُلُّكَ علَى شَجَرةِ الخُلْدِ » .

(٩) وقال إبراهيم بن المهدى فى رثاء ابنه :

وإنِّى وإنْ قُدِّمْتَ قَبْلِى لعالِمٌ بأَنِّى وإنْ أُخِّرْتُ مِنْكَ قريبُ

(١٠) قال تعالى : « ويجْعلُونَ لِلهِ البنَاتِ سُبْحانَهُ ولَهُمْ ما يشْتَهُون » .

(١١) وقال أوس بن حَجَر[1] :

ولَسْتُ بخابِئٍ أَبدًا طعاماً حِذَارَ غَدٍ لِكلِّ غدٍ طَعــامُ

(١٢) وقال تعالى : « ولتكُنْ مِنْكُمْ أُمةٌ يدْعُون إلى الخَيْر ويـأْمُرُونَ بالمعْرُوف وينْهَوْنَ عَنِ المنْكَرِ » .

(١٣) وقال تعالى : « إنَّ مِنْ أَزْواجكمْ وأَوْلادِكُمْ عدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ، وإن تعْفُوا وتصْفَحُوا وتَغْفِرُوا فإن اللهَ غَفُورٌ رحيمٌ » .

(١٤) وقال تعالى : « وما أُبرِّئُ نَفْسِى إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارةٌ بالسُّوءِ » .

(١٥) قال تعالى : « يا أَبتِ إنِّى رأَيْتُ أَحدَ عشَر كَوْكَباً والشَّمْس والقمر رأَيْتُهُمْ لِى ساجِدِين » .

---

(١) من شعراء الجاهلية وفحولها يجيد فى شعره ما يريد ، وهو من الطبقة الثانية ، وعمر طويلا وكانت وفاته أول ظهور الإسلام .

(٦)

بيِّن ما تراه فى الأبيات الآتية من العيوب البلاغية :

(١) قال أبو نواس :

أقمْنَا بهَا يوْماً ويوْماً وثالِثاً ويوْماً لَه يوْمُ الترحُّلِ خامِس[1]

(٢) وقال النابغة فى وصف دار :

تبيَّنْتُ آياتٍ لَها فَعرَفْتُها لِستَّة أَعْوامٍ وذَا العام سابعُ

(٣) وقال أبو العتاهية :

ماتَ واللهِ سعيدُ بْنُ وهْب رحِم اللهُ سعِيدَ بْن وهْبِ

يا أَبا عُثْمان أَبْكيْتَ عينى يا أَبا عُثْمانَ أَوْجعْتَ قَلبى

(٧)

تدبر الكلام الموجز الآتى ثم ضعه فى أُسلوبين من إنشائك يكون فى أحدهما مساوياً لمعناه ، وفى الآخر زائدًا على معناه :

أَمّا بعد فعِظِ الناس بفِعْلِكَ . واسْتَحْى من اللهِ بقَدْر قُربهِ منك . وخَفْه بقدر قدْرته عليك .

(٨)

لماذا كان كل مثال به فصل لكمال الاتصال ضرباً من الإطناب ؟ مثِّل بأَمثلة مختلفة ، وبيِّن نوع الإطناب فى كل مثال .

(١) هات مثالين للإطناب بذكر الخاص بعد العام ، وآخرين للإطناب بذكر العام بعد الخاص ، وبيِّن فائدة الزيادة التى تضمنها الكلام فى كل مثال .

(٣) هات مثالين للاعتراض ، وبيِّن فائدته فى المثالين .

---

(١) يريد أنهم أقاموا ثمانية أيام ، عد منها ثلاثة فى الشطر الأول ، ثم أضاف إليها خمسة فى الشطر الثانى ، لأنه يقول إننا أقمنا بعد الثلاثة الأيام الأولى يوماً له يوم الرحيل خامس ، أى خمسة أيام أخرى .

(٣) هات أربعة أمثلة للتكرار الحسن ، وبيِّن غرضك منه فى كل مثال ، واستوف أغراض التكرار التى عرفتها .

(٤) هات مثالين للتذييل الجارى مجرى المثل ، وآخرين للتذييل الذى لم يجر مجْرَى المثل .

(٥) هات مثالين للاحتراس .

(٩)

اشرح بَيْتَى المتنبى فى وصف شِعْب بَوَّان[١] ، وبيِّن نوع الإطناب فيهما :

ملاعِبُ جِنَّة لَوْ سار فيها ... سُلَيْمانٌ لسار بترْجُمانِ[٢]

طَبتْ فُرْسانَنَا والْخيْلَ حتى ... خشِيتُ وإنْ كَرُمْنَ مِنَ الْحِرانِ[٣]

أَثر عِلمِ المعانى فى بَلاغة الكلام

نستطيع هنا بعد الدراسة السابقة أن نلخص لك مباحث علم المعانى فى أمرين اثنين :

الأول أنه يبيِّن لك وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التى يقال فيها ، ويُريك أن القول لا يكون بليغاً كيفما كانت صورته حتى يلائم المقام الذى قيل فيه ، ويناسب حال السامع الذى أُلقى عليه ، وقديماً قال العرب : لكل مقام مقال .

فقد يؤكد الخبر أحياناً كما علمت ، وقد يُلقى بغير توكيد ، على حسب حال السامع مِنْ جَهْل بمضمون الخبر أو تردد أو إنكار . ومناهضة هذا الأصل بلا داع نُشوزٌ عما رُسم من قواعد البلاغة . انظر إلى قوله تعالى فى شأن رُسل عيسى عليه السلام حين بعثهم إلى أهل أنطاكية :

« واضْربْ لَهُمْ مثَلاً أَصْحابَ الْقَرْيةِ إِذْ جاءَها المُرْسَلونَ ، إِذْ أَرْسلْنَا

---

(١) شعب بوان : موضع عند شيراز ، كثير الشجر والمياه ويعد من جنان الدنيا .

(٢) الجنة : الجن ، جعل الشعب لغرابة مناظره كأنه منزل للجن ، ويقول : إن لغة أهله بعيدة عن الأفهام حتى لو أتاهم سليمان مع علمه بلغات الجن لاحتاج إلى من يترجم له .

(٣) طباه : دعاه واستماله ، والحران فى الدابة : أن تقف مكانها فلا تبرح .

إليْهمُ اثْنيْن فكذَّبُوهُما ، فَعزَّزْنَا بثالِث ، فَقَالُوا إنَّا إلَيْكُمْ مُرْسَلُون ، قالُوا ما أَنْتُمْ إلاَّ بشَرٌ مِثْلُنَا ، وما أَنْزلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْءٍ إنْ أَنْتُمْ إلاَّ تَكْذِبُونَ ، قَالوا ربُّنَا يعْلَمُ إنَّا إلَيْكُمْ لَمُرْسلُون » .

فإن الرسل حين أَحسُّوا إنكارهم فى المرة الأُولى اكْتفوْا بتأْكيد الخبر «بإنَّ» . فقالوا : «إنَّا إلَيْكُمْ مُرْسَلُون» ، فلما تزايد إنكارهم وجحودُهم قالوا : «ربُّنا يعْلمُ إنَّا إلَيْكُمْ لَمُرْسَلونَ» ، فَأَكدوا بالقَسم وإنَّ واللام .

وقد تَخْفى هذه الدقائق على غير أَهل اللغة ، رُوِى أَن الكِنْدِىَّ[1] ركِب إلى أَبى العباس المبرِّد[2] وقال له : إنى لأَجد فى كلام العرب حشوًا !

فقال أَبو العباس : أَيْن وجدت ذلك ؟ فقال . وجدتهم يقولون : «عبد الله قائم» ثم يقولون : «إن عبدَ الله قائم» ثم يقولون : «إن عبد الله لقائم» فالأَلفاظ مكررة والمعنى واحد ؛ فقال أَبو العباس . بل المعانى مختلفة ، فالأَول إخبارٌ عن قيامه ، والثانى جواب عن سؤَال ، والثالث رَدٌّ على منكر .

كذلك يوجب علم المعانى أَن يخاطب كل إنسان على قدر استعداده فى الفهم ونصيبه من اللغة والأَدب فلا يُجيزُ أَن يخاطب العامىُّ بما يخاطبُ به الأَديب الْمُلِمُّ بلغة العرب وأَسرارها .

قال بعضهم لبشار بن بُرْدٍ : إنك لَتَجىءُ بالشىء الهجين المتفاوت ؛ قال : وما ذاك ؟ قال : بينما تثير النقْع وتخْلعُ القلوب بقولك :

إذَا ما غضِبْنَا غَضْبةً مُضَريةً هتَكْنَا حِجاب الشمس أَوتُمْطِرَ الدَّمَا

إذَا ما أَعرْنَا سيِّدًا مِنْ قَبيلَةٍ ذُرا مِنْبَرٍ صلَّى علَيْنَا وسلَّما

---

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحق فيلسوف العرب كان معاصراً للمأمون والمعتصم والمتوكل ، وله عندهم منزلة سامية ، برع فى الطب والفلسفة والحساب والمنطق والهندسة وطبائع الأعداد وعلم النجوم ، نبغ وليس فى المسلمين فيلسوف غيره ، وحذا فى تأليفه حذو أرسطو .

(٢) هو شيخ أهل النحو والعربية ، وله التآليف النافعة فى الأدب ، وكان حسن المحاضرة مليح الأخبار كثير النوادر ، وتوفى سنة ٢٨٥ هـ .

نراك تقول :

ربابةُ ربَّة البيْتِ تصُبُّ الخلَّ فى الزَّيْتِ
لَهَا عشْرُ دجاجاتٍ وديكٌ حسنُ الصَّوْت

فقال بشار : لكلٍّ وجْهٌ وموضع ؛ فالقول الأول جدٌّ ، والثانى قلتُه فى ربابة جاريتى ، وأنا لا آكل البيْض من السوق ، وربابة لَهَا عشر دجاجات وديكٌ فهى تجمع لى البيض ، فهذا القول عندها أَحْسنُ من « قِفَا نَبك مِنْ ذكرى حبيب ومنْزلِ » عندك !

وكثيرًا ما تجد الشَّاعر يسْهُلُ أَحْياناً ويلين حتى يُشْبه شعره لغة الخطاب . ويخشُن آونة ويصلُب حتى كأنه يقذفك بالجَلْمَد ، كل ذلك على حسب موضوعه الذى يقول فيه والطبقة التى يُنشدها شعرَه . ومن خير الأَمثلة لهذا النوع أبو نواس ، فإنه فى خمرياته غيرُه فى مدائحه ووصفه .

واعتبر هذا الأَصل بما كان من النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنه لما أَراد أَن يَكتب إلى مَلك فارس اختار أَسهل الأَلفاظ وأَوضحها فقال :

« من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلامٌ على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وأَدعوكَ بدِعايةِ الله ، فإنى أَنا رسول الله إلى الخلق كافَّة لينذر من كان حيًّا ويحِق القولُ على الكافرين ، فأَسلمْ تسلم ، فإن أَبيْتَ فإثمُ المجوس عليك » .

وحين أَراد أَن يكتب إلى أُكَيْدِر صاحبِ دومةِ الجنْدل فَخَّم الأَلفاظ وأَتى بالجزْل النادر فقال :

« من محمد رسول الله لأُكيْدِر حين أَجاب إلى الإسلام وخلَع الأَنداد والأَصنام ، إن لنا الضَّاحيةَ [١] من البَعْل [٢] والبُور [٣] والمَعامَى [٤] وأَغفالَ الأَرض [٥] والْحَلْقةَ [٦] والسلاح ، ولكم الضَّامِنَةُ من النَّخل [٧] والمعين [٨] من

(١) الضاحية (من النخل) : النخلة الظاهرة البارزة الخارجة عن أسوار المدينة والعمران .
(٢) البعل : النخل الراسخة عروقه فى الأرض . (٣) البور : الأرض الخراب التى لم تزرع .
(٤) المعامى : جمع معمى وهى الأراضى المجهولة . (٥) أغفال الأرض : الأراضى التى لا أثر للعمارة فيها .
(٦) الحلقة بسكون اللام : السلاح عاماً . (٧) الضامنة من النخل : ما كان داخلا فى العمارة وأطاف بها سور المدينة . (٨) المعين : الماء الجارى على وجه الأرض وقيل الماء العذب الكثير .

المعمور ، لا تُعْدل سارِحَتُكم (١) ولا تُعَدُّ فاردَتُكم (٢) ولا يُحْظَرُ عليكم النَّبات،تقيمون الصلاة لوقتها وتؤدون الزكاة ، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه».

وتكون مطابقة الكلام لمقتضى الحال أيضاً فيما يتصرف فيه القائل من إيجاز وإطناب : فللإيجاز مواطنه ، وللإطناب مواقعه ، كل ذلك على حسب حال السامع وعلى مقتضى مواطن القول ؛ فالذكىّ الذى تكفيه اللَّمحة يحسن له الإيجاز ، والغبىّ أو المكابر يجمل عند خطابه الإطناب والإسهاب .

وإذا تأملت القرآن الكريم رأيته إذا خاطب العرب والأعراب أوجز كلّ الإيجاز ، وأخرج الكلام مخرج الإشارة والوحْى ، وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم أسهب وأطنب فمما خاطب به أهل مكة قوله تعالى :

«إنَّ الذِين تدْعُون مِنْ دُون اللهِ لَنْ يخْلُقُوا ذُباباً ولَوِ اجْتَمعُوا لَهُ ، وإنْ يسْلُبْهُمُ الذبابُ شَيْئاً لا يَسْتنْقِذُوهُ مِنْهُ ، ضَعُف الطَّالِب والْمطْلوبُ».

وقلما تَجدُ خِطاباً لبنى إسرائيل إلَّا وهُو مسهب مطوّلٌ ، لأَن يهودَ المدينة كانوا يرون أنفسهم أهل علم وأهل كتاب فتجاوزوا الحد فى المكابرة والعناد ، وقد يكون القرآن الكريم نزَّلهم منزلة قصار العقول فأطنب فى الحديث إليهم ، ويشهد لهذا الرأى ما حكاه عنهم وعن مقدار معرفتهم بما فى أسفارهم .

وللإيجاز مواطن يحسن فيها ، كالشكر والاعتذار والتعزية والعتاب إلى غير ذلك ، وللإطناب مواضع كالتهنئة والصلح بين فريقين والقَصص والخطابة فى أمر من الأُمور العامة ، وللذوق السليم القولُ الفصل فى هذه الشئون .

* * *

أما الأمر الثانى الذى يبحث فيه عِلْم المعانى فهو دراسة ما يستفاد

---

(١) لا تعدل سارحتكم . السارحة : الماشية ، يريد أن ماشيتهم لا تصرف عن مرعى تريده .

(٢) لا تعد فاردتكم . الفاردة : الزائدة على الفريضة ، يقول : لا تضم فاردتكم إلى غيرها فتعد معها وتحسب .

من الكلام ضمناً بمعونة القرائن ، فإنه يريك أن الكلام يفيد بأصل وضعه معنًى ولكنه قد يؤدى إليك معنى جديدًا يفهم من السياق وترشد إليه الحال التى قيل فيها ، فيقول لك إن الخبر قد يفيد التحسر ، والأمر قد يفيد التعجيز ، والنهى قد يفيد الدعاء ، والاستفهام قد يفيد النفى ، إلى غير ذلك مما رأيته مفصَّلاً فى هذا الكتاب .

ويقول لك إن الخبر قد يلقى مؤكدًا لخالى الذهن ، وقد يلقى غير مؤكد للمنكر الجاحد ، لغرض بلاغى بديع ، أراده المتكلم من الخروج عما يقتضيه ظاهر الكلام .

ويرشدك علمُ المعانى إلى أن القصر قد ينحو فيه الأديب مناحىَ شتى ، كأن يتجه إلى القصر الإضافى رغبةً فى المبالغة ، فيقول المتفائل :

وما الدنيا سِوَى حُلمٍ لذيذ تُنَبِّهُهُ تَباشِيرُ الصَّباح

ويقول المتشائم :

هل الدَّهْرُ إلَّا ليْلَةٌ طال سُهْدُها تَنفَّسُ عنْ يوْمٍ أَحمَّ عصِيب

وقد يكون من مرامى القصر التعريضُ كقوله تعالى : « إنما يتذكرُ أُولو الأَلباب » إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها ، ولكنها تعريض بالمشركين وأنهم لفرط عنادهم وغلبة الهوى عليهم فى حكم من لا عقل له .

ويَهديك علم المعانى إلى أن من أغراض الفصل فى بعض أنواعه تقريرَ المعنى وتثبيته فى ذهن السامع ، كما فى الفصل لكمال الاتصال وشبهه .

ولعل فى هذه الكلمة الموجزة مَقنعاً فى بيان ما لعلم المعانى من الأثر فى بلاغة الكلام ، وما يُمَدُّ به الناشئ فى الأدب من أساليب ، وما يرسمُ له من طريق لحسن تأليفها واختيار الأحوال والمواطن التى تقال فيها .

المصادر والمراجع

- الإملاء والترقيم في الكتابة العربية – عبد العليم إبراهيم (دار غريب – القاهرة).
- البلاغة الواضحة – علي الجارم ومصطفىٰ أمين.
- تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف – الناشر: دار المعارف – مصر – الطبعة: الأولىٰ، ١٩٦٠ – ١٩٩٥ م.
- التذكرة الحمدونية – محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفىٰ: ٥٦٢هـ) – دار صادر، بيروت – الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٧ هـ.
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة – أحمد زكي صفوت – المكتبة العلمية بيروت–لبنان
- ديوان زهير بن أبي سلمىٰ – تحقيق: علي حسن فاعور – دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة الأولىٰ: ١٩٨٨م
- ديوان الهذليين – الشعراء الهذليون – ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي – الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة – جمهورية مصر العربية – ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م.
- الكامل في اللغة والأدب – محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفىٰ: ٢٨٥هـ) – المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الفكر العربي – القاهرة – الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
- مجمع الأمثال – أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفىٰ: ٥١٨هـ) – المحقق: محمد محيىٰ الدين عبد الحميد – دار المعرفة – بيروت.
- النحو الواضح في قواعد اللغة العربية – علىٰ الجارم ومصطفىٰ أمين – الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة.